الحصاد

AL-HASAD Issue No: 161 / February 2025 | العدد ١٦١ / شباط ٢٠٢٥ | مجلة شهرية تُعنى بقضايا الوطن العربي والعالم

بعد سنتين وشهرين من شغور الموقع

جوزيف عون رئيساً للجمهورية اللبنانية

الحصاد

AL-HASAD Issue No: 161 - February 2025 .العدد ١٦١. شباط ٢٠٢٥

مجلة شهرية، تجعل من قضايا الوطن العربي والعالم محط اهتمامها، ماضياً، حاضراً ومستقبلاً

تصدر في لندن عن شركة Candour Communications Ltd.

رئيسة مجلس الإدارة ورئيسة التحرير:
إبتسام محمد سعيد أوجي

أعضاء مجلس الإدارة:
د. مازن الرمضاني
أمين الغفاري

المدير الفني:
حسين حمّود

ثمن النسخة :
٣ جنيهات سترلينية او ما يعادلها

الاشتراك السنوي :
٣٠ جنيهاً سترلينياً

مكتب بيروت
+٩٦١٤٥٥٩٠٠

لإعلاناتكم على صفحات «الحصاد»:
Telephone: 00 44 (0) 7444660507

"Al-Hasad" Head Office:
Lincoln House,
137-143 Hammersmith Road,
London W14 0QL (UK)
Telephone: 00 44 (0) 2076027055
00 44 (0) 7956229072
Fax: 00 44 (0) 2076035533
E-mail: info@alhasad.co.uk
Website: www.alhasad.co.uk

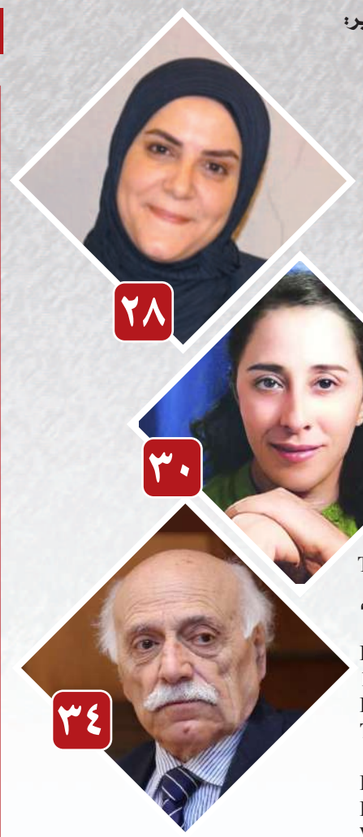

في هذا العدد ص

موضوع الغلاف ١١/٤
جوزيف عون رئيساً... لبنان ما بعد الأعاصير!

قضايا إقتصادية ٢٠
الرسوم الجمركية سلاح ترامب في وجه الاقتصاد العالمي

قضايا أدبية ٢٨
الشاعرة نهى عودة: سألقي قصيدة العودة حين نسترجع أرضنا

إضاءات ٤٠
ارجاء بن عمار... النباشة بالمسرح الزياح

بيئة ٤٤
حسن فتحي.. اول من نادى بالعمارة الخضراء صديقة البيئة

كلمة «الحصاد»

هل انتصر الدم على المخرز؟

أبدأ كلمتي بتهنئة شعب لبنان بنهاية عهد الحكومات المؤقتة، وانتخاب رئيس جمهورية شرعيّ ورئيسَ وزراء مشهودٌ له بالعدل والأمانة، عسى أن يكون ذلك فاتحةُ خيرٍ للبنان واللبنانيين وبدايةُ آستقرار في المنطقة العربية بإذن الله.

تسارعت الاحداث في الشهر الأخير من الخمسة عشرة شهراً من المجازر الإسرائيلية بحق الفلسطينيين في غزة والأرض المحتلة، واعتداءات لا حصرَ لها على جنوب لبنان وصولاً لمحيط بيروت وعلى سوريا مع اجتياحات الجيش الإسرائيلي على حدود الهدنة في كلا البلدين.

ويصحو العالم على اتفاق وقف النار بين إسرائيل وجنوب لبنان على ان تتراجع قوات حزب الله إلى ما وراء الليطاني جنوباً تزامناً مع انسحاب قوات إسرائيل من المنطقة، ويسيطر الجيش اللبناني وقوات الأمم المتحدة على الخط الفاصل بينهم. وبعد ايام قليلة يسقط نظام الحكم السوري بسيطرة قوات (الجولاني) او أحمد الشرع، وتبدأ مرحلة ضبابية في سوريا ما تزال أبعادها الحقيقية بعيدة عن الوضوح الذي عهدناه في الإنقلابات أو الثورات في الأقطار العربية سابقاً، فالرجلُ الذي كان مطارداً لسنوات على أنّه إرهابيٌ! يترأس القطر السوريّ الذي كان ولم يزلْ قاعدةً للأمة العربية والقومية العربية والتراث والتاريخ العربي فيتحول كما تحوّل العراقُ قبله إلى بلد (مكوّنات) وليس وطناً جمعياً لكل الأعراق والأديان والمذاهب التي ساهمت في بنائه لقرون عديدة تتصل جذورها لتصل إلى ما قبل التاريخ بآلاف السنين.

في نفس هذا الشهر يُتوّجُ شهداءُ غزة وفلسطين بتاج لم يسبقهم اليه أحد من الشعوب، أعظم وأشجع وأعزّ شعب بذل دماءه رخيصةً كي يعترف العالم بحقه في أرضهِ وسمائه وحريته، وقد ناله بآلاف الشهداء وبتشبّع ارضهم بعطر دمائهم الزكية، فاضطرَّ المجرمون للاعتراف بأنهم غير قادرين على إبادة هكذا شعب هو للأسطورة أقربُ منه للحقيقة. فهنيئاً للشعب الفلسطينيّ وحسرةً على دولٍ عربية ركعت للمحتلين ولم تمد يداً تقطع دابرهم ومُرتكبيّ الجرائم والمجازر بحق هذا الشعب الأبيّ.

وآخر مطالعة، تنصيب رئيس الولايات الأمريكية الجديد، القديم (ترامب) الذي أهدى القدس العربية والجولان العربي السوري لإسرائيل في المرة السابقة مع عمليات تطبيع دول في الخليج العربي مع إسرائيل وممارسة ضغوط كبيرة على باقي الدول وأولها السعودية وابتزاز الأموال، وما خفيَ كان أعظم.

ولا ندري ماذا تحمل الأيام القادمة لهذه الأمة العربية المبتلاة دوماً بكلِ طامعٍ ومحتل. ■

إبتسام

الحصاد

عزيزي القارئ

تفتح مجلة الحصاد ابوابها لأستقبال اجتهاداتكم وأرائكم واقتراحاتكم الفكرية والسياسية والأدبية وكذلك تعقيباتكم على الآراء التي تنشر على صفحاتها وإن كان ذلك يتطلب مراعاة الأعتبارات التالية:

- أن تكون لغة التحرير هي اللغة العربية التي تصدر بها المجلة وان يراعى في الكتابة الوضوح وسلامة النص.
- ان تتصف المقالات والدراسات بالموضوعية.
- يجوز للمجلة مراجعة الكاتب ان تضمن المقال بعض الأشارات الملتبسة أو التي لاتتفق وأهداف المجلة.
- ترحب المجلة بالحوارات الموضوعية والتعقيبات التي تنشر بها وكذلك بأي ردود فكرية او تصويب وهي فضلا عن ذلك ترحب بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات التي تعقد هنا او هناك.
- المقالات والدراسات المنشورة تعبر عن رأي اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

زوروا موقعنا على الرابط:
www.alhasad.co.uk

زلازل سياسة في المنطقة وتغيّر موازين القوى الداخلية والإقليمية

جوزيف عون رئيساً... لبنان ما بعد الأعاصير!

محمد قواص*

في 9 كانون الثاني (يناير) 2025، انتخب مجلس النواب اللبناني، قائد الجيش العماد جوزيف عون، الرئيس الرابع عشر للجمهورية. كان شغور في هذا المنصب، دام لأكثر من عامين ونصف، أفقد البلاد توازنا دستوريا وسياسيا موجعا. جرت مياه كثيرة دراماتيكية في الشرق الأوسط خلال هذه المرحلة، ابتداء من عملية "طوفان الأقصى" في 7 تشرين (أكتوبر) 2023، انتهاء بسقوط نظام بشّار الأسد في سوريا في 8 كانون الأول (ديسمبر) 2024. قبل عملية الانتخاب شهد لبنان حربا إسرائيلية كارثية زادت من أزمة البلد، وغيّرت من توازنات لبنان السياسية الداخلية المتأثرة بتغير بتوازنات قوى الحلّ والعقد في المنطقة والعالم. بدا أن لبنان احتاج إلى هذه الأعاصير الكارثية، وإلى تدخل العواصم بشكل مباشر ووازن من أجل إعادة نصاب الأمور واستعادة منصب الرئاسة في البلد حيويته وصلاحيته ودوره الأول.

الرئاسة في ظل الوصايات

لطالما اشتكت بعض المنابر المسيحية في لبنان من ظلم أصاب موقع الرئاسة في لبنان بعد اتفاق الطائف. بنى «التيار العوني» سردياته على هذه المظلومية على قاعدة أن اتفاق عام 1989 سلب من الموقع المسيحي الأول صلاحيات كان يتمتع بها منذ قيام الجمهورية. وفيما منح الأمر حجّة للرئيس مذاك بالتعذّر بالقدَر لتبرير قلّة الحيلة، على طريقه "ما خلونا"، فإن للتاريخ أدلّة عن احتفاظ الموقع بالأهمية السامية التي تفسّر الأزمات الكبرى التي شهدها البلد كلما اقترب استحقاق انتخاب رئيس جديد. لا تتغير هذه القاعدة عن ظروف انتخاب الرئيس الجديد للبنان. وعلى أساس هوية هذا الرئيس تتحدد سمات الهوية السياسية المقبلة للبلد. ولو كان منصب الرئاسة صوريا، لما احتاج البلد إلى نزف دموي حين قررت وصاية دمشق التمديد لحليفها إميل لحود، ولما ذهب السلاح إلى وقاحته الكبرى في 7 أيار (مايو) 2008 لعقد صفقة انتخاب ميشال سليمان ولا أوصدت أبواب البرلمان لفرض انتخاب ميشال عون عام 2016.

جرت أعراف انتخاب رئيس الجمهورية منذ «الطائف» تحت قواعد وصايتين. واحدة تعلّب الاستحقاق في دمشق حتى عام 2005، عام خروج القوات السورية من لبنان. وواحدة تُفرض من طهران من خلال جلافة قوة يفرضها حزبها في البلد. وبدت تلك المواعيد منتجة لوجوه رئاسية تتّسق مع تلك المراحل وموازين قواها الإقليمية والدولية. والأمر لم يكن جديدا على حكايات الانتخابات الرئاسية منذ الاستقلال، من قبل تركيا والعالم العربي وعواصم القرار الدولي، لاستنتاج أن العالم يتموضع من جديد على توقيت دمشق. تفقد طهران وموسكو، بنسب مختلفة، نفوذا في الشرق الأوسط وإطلالة محتملة على البحر المتوسط. يتقدم العالم العربي لاحتلال حيّز واسع مما كان قبل أسابيع فقط داخل نفوذ إيران منذ عقود. تدق أوروبا والولايات المتحدة أبواب العاصمة السورية راسمة من هناك خرائط جديدة، وربما طويلة الأجل، لتوازنات الكوكب.

أمام لبنان فرصة تاريخية، وربما مجانية، لاستعادة وجهة فقدها في عهود الوصايات القهرية المباشرة. فرصة لا تحتمل الانزلاق مجددا إلى ارتكاب خطيئة الجزع من ركوب التحوّلات الكبرى عبر الخضوع لصفقات لا تقرأ التاريخ، على منوال تخريجة "الاتفاق الرباعي" عام 2005. فكان لا بد أن لا يرأس لبنان وجها مستفزًا للعالم العربي مستهترا بتبدل الأوزان في هذا العالم. وكان لا بد أولا وأخيرا أن لا يأتي رئيس يعاكس رياح سوريا الجديدة، بما في ذلك وعد قائد الإدارة الجديدة هناك، أحمد الشرع، «بأن سوريا لن تكون حالة تدخل سلبي في لبنان على الإطلاق وستحترم سيادته ووحدة أراضيه واستقلال قراره واستقراره الأمني».

أجواء من قبل الجلسة

سلط المراقبون مجهرا على تداعيات سقوط النظام السوري على آليات العملية السياسية، لا سيما في مسألة انتخاب رئيس للجمهورية. أتى الأمر معطوفاً على ضعف قبضة إيران من خلال حزب الله على لبنان، ما حرر البلد من الوصايات التي عرفها منذ انتهاء الحرب الأهلية وإبرام اتفاق الطائف. فما هي المعطيّات المتوفرّة واحتمالات هوية الرئيس المقبل كمفتاح لإعادة تشكيل السلطة في لبنان؟

في 28 تشرين الثاني (نوفمبر) 2024، أي بعد يوم واحد من بدء سريان وقف إطلاق النار في لبنان، حدد رئيس مجلس النواب اللبناني، نبيه بري، تاريخ 9 كانون الثاني (يناير) 2025 موعدا لانتخاب رئيس للجمهورية، على أمل أن ينهي ذلك فراغا في سدّة الرئاسة بدأ منذ انتهاء ولاية الرئيس السابق، ميشال عون، في 30 تشرين الأول (اكتوبر) 2022. كان آموس هوكستاين، مستشار الرئيس الأميركي، الذي توسّط للوصول إلى اتفاق وقف إطلاق النار في لبنان، قال إن مهمته تشمل تسهيل انتخاب رئيس للجمهورية، ما يعني أن إنهاء الشغور الرئاسي بات ملفاً ضروريا مكمّلا للتدابير المتعلقة بتنفيذ القرار الأممي رقم 1701. أنعش تعيين موعد للانتخابات الرئاسية الآمال بانتخاب رئيس يكون خارج سلطة الوصاية الخارجية بعد الضعف السياسي والعسكري الذي أصيب حزب الله به إثر الحرب الأخيرة.

ومنذ تولي دمشق أمر لبنان بعد انتهاء الحرب الأهلية (1975–1990)، تمّ انتخاب رؤساء وفق إرادة هذه الوصاية. وبعد انسحاب الجيش السوري من لبنان عام 2005، تولّت إيران عبر حزبها فرض توازنات لاختيار اسم الرئيس. ويمثل سقوط نظام بشّار الأسد وزوال النفوذ الإيراني في سوريا وضعفه في لبنان، مرحلة جديدة غيرت من شكل الاصطفافات السياسية، بحيث خرجت كثير من الكتل البرلمانية غير الشيعية من عباءة تحالف حزب الله وحركة أمل (الثنائي الشيعي)، ما يعني تبدّلا كبيرا في الخيارات على حساب مرشح الثنائي لمنصب الرئاسة.

مداولات الساعات الأخيرة أنتجت رئيسا في لبنان

الموفد الفرنسي جان إيف لو دريان: هكذا قررنا

على رغم من الضعف الذي أصاب «الثنائي» بعد الحرب الأخيرة، غير أن «حزب الله» و«حركة أمل» استمرا في دعم سليمان فرنجية مرشحا وحيدا لهما. وإضافة إلى أن فرنجية هو حليف «الثنائي»، غير أنه كان يقدم نفسه دائما بصفته «الصديق الشخصي للرئيس بشّار الأسد». وقد أطاح سقوط النظام السوري بحظوظه نهائيا.

لم يُسقط الثنائي رسميا ترشيح فرنجية، لكن المعلومات كانت تقول إن المرشّح سيعلن سحب ترشّحه بنفسه وأن «الثنائي»، بشخص بري، يسعى للتواصل مع بقية الكتل البرلمانية للتوافق على اسم بديل يمثّل توافقا بين كل التيارات السياسية.

تقدم اسم جوزيف عون، قائد الجيش اللبناني، بصفته المرشح الأبرز الذي قد ينال موافقة أغلب الكتل البرلمانية، خصوصا أنه يتمتع بدعم غير معلن من قبل الولايات المتحدة وفرنسا والسعودية. ورغم ظهور أعراض عداء لهذا الخيار من قبل حزب الله، غير أن موقف «الثنائي» أكد أنه، على الأقل، لن يضع «فيتو» على انتخابه. وعلى الرغم من تأكيد مراجع سياسية لبنانية على ضرورة انتخاب رئيس توافقي، كان سيمر جعجع، رئيس «حزب القوات اللبنانية» يلوّح باحتمال الترشّح «إذا ما حظي بالقبول». وكان صدَرَ موقف عن نائب رئيس «القوات» يلمّح إلى عدم حماسة حزبه لانتخاب الرئيس في موعد الجلسة المعلن.

وكان مسعد بولس (الذي عينه الرئيس دونالد ترامب مستشارا للشؤون العربية وشؤون الشرق الأوسط)، تحدث في 1 كانون الأول (ديسمبر) 2024 قد تحدث بشأن الملف الرئاسي، وقال إنه «موضوع شائك ومهم ويجب العمل عليه بدقة من دون تسرّع بشكل غير مدروس بحكم الحرب، فمرحلة وقف إطلاق النار تجريبية والانتخابات ليست من مسؤوليتنا بل من مسؤولية البرلمان». وأضاف: «من صبر أكثر من سنتين على الفراغ، يمكن أن يصبر شهرين أو ثلاثة ويعمل على الأمر بشكل متكامل ودقيق بعيداً عن التسرع».

وقد أوحت رسالة بولس إلى لبنان حينها بعدم الاستعجال، ما أثار أسئلة بشأن نهائية موعد الجلسة التي حددها بري. ورأى مراقبون حينها أن تلميح «القوات» بعدم الحماسة لتلك الجلسة، قد يكون تأثّرا بهذه الأجواء وربما بأجواء إقليمية تدعو إلى التريث بانتظار وضوح الوضع السوري وما سيغيره من موازين قوى جديدة إقليمية ودولية ستتداعى حكما على الداخل اللبناني. ومع ذلك جرت الانتخابات الرئاسية في «

موعدها وفق مشهد جديد لموازين القوى.

رياح ضد قائد الجيش

كان مجلس النواب قد فشل في انتخاب رئيس جديد في الجلسات التي حددت سابقا، بسبب تشظي الكتل البرلمانية، وتمسّك كافة الأطراف بمرشحيهم، وعدم التوافق الداخلي على مرشح تسوية، وعدم التوافق الخارجي على اسم مشترك. وكان معروفا أن ترشّح قائد الجيش يعاني من إشكالية دستورية. فالدستور اللبناني يمنع أي موظف في الدولة من الترشّح إلا بعد مرور 6 أشهر على مغادرته منصبه. ووفق هذا الشرط، كان يحتاج عون إلى تمرير تعديل دستوري، لمرة واحدة، في مجلس النواب. ويحتاج هذا التعديل إلى موافقة ثلثي المجلس، أي 86 نائبا، وهو عدد غير متوفّر إذا لم يجر توافق سياسي مسبق.

رشحت معلومات قبل أيام من جلسة الانتخاب عن دعم دولة قطر عون أيضا، لكنها في حال تعذّر انتخابه، تدعم انتخاب الياس البيسري، مدير عام الأمن العام بالوكالة. والبيسري مقبول من قبل الثنائي الشيعي (حزب الله وحركة أمل) في حال تخلى عن مرشحه الأساسي، سليمان فرنجية.

ضعفت حظوظ فرنجية بسبب التصدّع الذي أصاب «الثنائي» بعد الحرب الأخيرة، وانعدمت هذه الحظوظ خصوصا بسبب سقوط النظام السوري. وكان فرنجية يقدم نفسه بصفته صديقا شخصيا للرئيس السابق بشّار الأسد. كان بري قد كشف عن عدم رغبته في دعم جوزيف عون، ويشاطره في ذلك رئيس التيار الوطني الحر (العوني)، جبران باسيل. غير أن حزب الله أعلن في 5 يناير، على نحو مفاجئ، وعلى الرغم من أجواء عدائية سابقة، عن عدم ممانعته انتخاب عون، مقابل ممانعته انتخاب سمير جعجع، رئيس حزب القوات اللبنانية. ورأى مراقبون أن موقف الحزب أُرفق بأجواء أخرى تقول إنه متمسّك بوحدة الموقف مع بري، وأنه إذا استمر بري بمعارضة انتخاب عون، فإن الحزب لن يعاكس رغبته. واعتبر هؤلاء المراقبون أن موقف الحزب تجاه عون هو مجرد مناورة.

لم يحظَ عون بدعم باسيل، لأن «التيار العوني» أخذ على قائد الجيش رفضه لتوجهات الرئيس ميشال عون بزجّ الجيش لقمع التظاهرات التي اندلعت ضد النظام السياسي اللبناني ابتداء من 17 تشرين الأول 2019. ولم يكن يحظى عون بدعم «الثنائي» عامة، على الرغم من موقف الحزب الأخير، بسبب الدور الذي سيلعبه الجيش بديلا لسلاح حزب الله وفق اتفاق وقف إطلاق النار، وبسبب دعم الولايات المتحدة لترشحه. وكانت الولايات المتحدة وفرنسا تدعمان جوزيف عون، لكن فرنسا روّجت أيضا للمصرفي اللبناني سمير عساف بديلا. فيما راج أن السعودية والولايات المتحدة تدعمان (بديلا عن عون) الوزير السابق، أحد مدراء صندوق النقد الدولي الكبار، جهاد أزعور.

عشية وصول الموفد الرئاسي الأميركي،

الحرب الأخيرة خلقت أجواء ضاغطة لانتخاب عون

آموس هوكشتاين إلى بيروت في 6 كانون الثاني (يناير) أي قبل 3 أيام من موعد جلسة الانتخاب، التقى بوزير الخارجية السعودي، فيصل بن فرحان، في الرياض، ما فُسّر بأنه تشاور وتنسيق بين واشنطن والرياض بشأن الاستحقاق الرئاسي في لبنان.

إنزال خارجي لانتخاب رئيس

بعد أكثر من عامين ونصف من الشغور الرئاسي في لبنان، وقبل ساعات من جلسة الانتخاب، نجح توافق داخلي بضغوط خارجية استثنائية في ذهاب أغلبية كبرى من أعضاء البرلمان إلى انتخاب قائد الجيش اللبناني، جوزيف عون، رئيسا للجمهورية في 9 يناير 2025 بأغلبية 99 صوتا من أصل 128 نائبا. فما هي المعطيّات التي أدت إلى تسجيل هذا الخرق، على الرغم من فشل وساطات عربية ودولية حثيثة سابقة في تحقيق ذلك؟

ليست المرة الأولى التي ينُتخب فيها قائداً للجيش رئيسا. سبق لقادة الجيش، فؤاد شهاب، وإميل لحود، وميشال سليمان، وميشال عون أن تبوؤا منصب الرئاسة في مراحل زمنية متعددة في تاريخ لبنان الحديث. وعلى الرغم من اجتهادات دستورية، فإن عملية انتخاب جوزيف عون تُعدُّ خرقا للدستور الذي ينصّ على عدم جواز انتخاب موظف في الدولة إلا بعد مرور 6 أشهر على مغادرته منصبه، وأن غير ذلك يحتاج إلى تعديل دستوري يصادق عليه ثلثي مجلس النواب على الأقل. لكن بعض المراجع اعتبرت أن حصول جوزيف عون على تصويت لانتخابه رئيسا بأغلبية تتجاوز ثلثي مجلس النواب (86 نائبا)، يُعد بحدّ ذاته تصويتا غير مباشر على تعديل الدستور (لمرة واحدة) لصالح شرعنة ترشّح عون وانتخابه.

وحتى الساعات الأخيرة ما قبل جلسة الاقتراع، كانت الأجواء توحي بصعوبة توفير أغلبية كافية لانتخاب قائد الجيش بسبب رفضه من قبل بري، ممثلا للثنائي الشيعي، وجبران باسيل، ممثلا للتيار العوني (المسيحي)، وبسبب تردد بعض الكتل المعارضة لأسباب مختلفة. وارتفعت مقابل ذلك حظوظ جهاد أزعور. ولم يجر هذا "الانقلاب" في اللحظة الأخيرة لصالح عون، إلا بعد تدخل خارجي مباشر غير مسبوق في لهجته.

قالت المعلومات في ذلك الوقت إن السفير السعودي في لبنان، وليد البخاري، أجرى خلال الأسابيع الأخيرة التي سبقت جلسة الانتخاب اتصالات مكثّفة مع كافة النواب السنّة، لا سيما القريبين من الثنائي الشيعي، وحصل على التزامهم بالتوجهات السعودية في مسألة انتخاب الرئيس.

وقد كشف مصدر نيابي أن الموفد الرئاسي الفرنسي، جان إيف لودريان، قاطعهم بحدة بشأن إمكانية البحث عن بديل عن عون، وأعلن بشكل حازم أن الخيار الأول والثاني والثالث.. هو جوزيف عون، «ولن نقبل أي بديل». وتقول معلومات أخرى إن نوابا احتجوا لدى لودريان على هذه «الإملاءات»، وأن الموفد الفرنسي أجاب أنه بعد فشل القوى اللبنانية في انتخاب رئيس، اختارت اللجنة الخماسية، «وهذا هو قرارنا».

بعد تصريح لأحد مسؤولي حزب الله (وفيق صفا)، في 5 كانون الثاني (يناير) 2025، بإن الحزب لا يعترض على ترشيح قائد الجيش لرئاسة الجمهورية، لكن الاعتراض الوحيد هو على رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع، زار لودريان رئيس كتلة الحزب البرلمانية، محمد رعد، في مقره في الضاحية. ونقل عن رعد قوله إنّ «الحزب لن يقف عائقاً أمام إجماع اللبنانيين على اسم رئيس للجمهورية». ■

* صحافي وكاتب سياسي

تعهدات الرئيس جوزيف عون...

محمد المشنوق*

تحويل كل تعهد من تعهدات الرئيس جوزيف عون إلى خطة طريق ملموسة يتطلب توضيح الأهداف المتعلقة بكل تعهد، وتحديد الأولويات، والإجراءات اللازمة لتحقيقها.

في الظروف الراهنة، من المهم أن تكون هذه الخطط واقعية وتراعي التحديات الحالية.

فيما يتعلق بعهد الرئيس بأن يطعن بدستورية أي قانون يخالف الدستور ويدعو لاستشارات نيابية سريعة لتكليف رئيس حكومة شريك في المسؤولية، يجب وضع خطوة أولى تتمثل في تشكيل لجنة قانونية متخصصة تتولى مراجعة القوانين ذات الصلة وتقديم مقترحات للتعديلات اللازمة.

يجب أن تشمل الأولويات عقد جلسات حوار مع القوى السياسية لتحديد معايير اختيار رئيس الحكومة، مع التأكيد على أهمية الشفافية والمشاركة. يتعين أيضًا أن يتم وضع آلية لاستشارات شعبية لضمان تمثيل أكبر للشارع اللبناني في العملية.

إضافة إلى ذلك، ينبغي وجود آلية لمراقبة تنفيذ القوانين والتأكد من توافقها مع الدستور من خلال إنشاء هيئة مستقلة ترصد ذلك.

فيما يخص عهد الرئيس بإعادة هيكلة الإدارة العامة وتعيين الهيئات الناظمة، يجب البدء بتقييم شامل للهيكل الإداري الحالي وتحديد نقاط القوة والضعف. يتطلب ذلك إجراء دراسات ميدانية واستطلاعات للرأي لاستقطاب الآراء من النخب وتحديد الكفاءات اللازمة لتحديد احتياجات الإدارة العامة.

من المهم وضع خطة تدريبية لتحسين قدرات الموظفين العموميين وإدخال نظام توظيف شفاف يضمن إدخال الكفاءات المؤهلة. كما يجب تشكيل لجان مختصة من الخبراء لصياغة قوانين جديدة تلبي احتياجات المجتمع. في هذا السياق، يجب التركيز على التعاون مع المنظمات الدولية والدول المانحة لتعزيز قدرات الدولة في إعادة الهيكلة وتطوير نظم الإدارة.

عند الحديث عن وضع استراتيجية دفاعية وقيام دولة تستثمر في جيشها، يجب التركيز على بناء رؤية وطنية شاملة لأمن لبنان. يتعين عقد جلسات حوارية موسعة تشمل كافة الشرائح المجتمعية، بما في ذلك مؤسسات المجتمع المدني والأسرة، لجمع المقترحات وبناء استراتيجية تتضمن تأمين الحدود، وزيادة التعاون مع الدول المعنية في الأمن، وتعزيز القدرات العسكرية والتسليح. تكمن الأولوية في تطبيقات عاجلة مثل ضبط الحدود ومنع التهريب، ومن ثم التالي بناء خطط طويلة المدى تشمل التحديث التكنولوجي وتعزيز القوات المسلحة.

لعهد إعادة إعمار ما هدمه العدو الإسرائيلي، يجب وضع استراتيجية شاملة تتضمن تحديد المناطق المتضررة وأولويات الإعمار. يتطلب ذلك تحديد موازنات والبحث عن تمويل من الجهات المانحة. ينبغي أن تشمل الخطة المعايير البيئية والحفاظ على التراث الثقافي، بجانب إدماج الأهالي في عملية الإعمار لتحقيق الانتماء والمشاركة.

من الضروري أيضًا تكوين شراكات مع المنظمات الدولية لزيادة فرص الحصول على الدعم الفني والمادي.

فيما يتعلق بعدم التفريط باستقلال وسيادة لبنان، يجب أن يكون هناك استراتيجية دبلوماسية نشطة تهدف إلى بناء علاقات متوازنة مع الدول العربية والدول الأخرى، وتعمل على تعزيز السياسة الخارجية التي تعكس مصالح لبنان الوطنية.

يتعين وضع خطط عمل لتطوير الشراكات الاستراتيجية مع دول المشرق والخليج عبر مشاريع مشتركة وتحفيز التجارة. يجب أيضًا تعزيز هياكل المجتمع المدني داخل لبنان لتقوية الموقف الوطني ونقل صورة قوية عن الوحدة والاستقلالية.

في ما يتعلق بالحوار مع الدولة السورية، ينبغي تشكيل فريق عمل متخصص يتولى قضايا العلاقات اللبنانية السورية. يتطلب ذلك تحضير ورش عمل مشتركة وتكثيف اللقاءات مع هدف واضح لحل القضايا العالقة مثل ملف النازحين والمفقودين، ومن ثم تقديم تقرير دوري عن التقدم المحرز. يجب التنسيق مع المنظمات الإنسانية والدولية المعنية لدعم هذا الحوار وتقديم المساعدات اللازمة.

يجب أيضاً العمل على تطوير قوانين الانتخابات وإقرار مشروع قانون اللامركزية الإدارية الموسّعة. يتعين تشكيل لجان برلمانية متخصصة تقيم القوانين الحالية وتقدم رؤى جديدة تتماشى مع متطلبات اللامركزية ودعم المجتمعات المحلية.

يجب أن تشمل الأولويات تحسين نظام الانتخابات لتأمين شفافية أعلى وتمثيل الجميع، بما في ذلك النساء والشباب وذوي الاحتياجات الخاصة.

فيما يتعلق بحماية أموال المودعين وتعزيز شبكات الأمان الاجتماعي، ينبغي وضع استراتيجيات واضحة لتعزيز النظام المالي وحماية ودائع الناس. يتطلب ذلك تكوين لجنة مالية مستقلة لمراقبة الأوضاع المالية. يجب تنفيذ برامج اجتماعية تدعم الفئات الأكثر ضعفًا، مع تحسين الخدمات الصحية والتركيز على ضمان أن تكون السياسة الصحية شاملة وقابلة للتحقيق.

أخيرًا، من الضروري تعزيز الوحدة الوطنية والاهتمام بمصالح الأجيال القادمة. ينبغي أن تكون هناك حملة توعية وطنية تسعى لتعزيز روح الانتماء والتضامن. يجب أن تكون الأولويات واضحة في سياسات الحكومة والقطاع الخاص والمجتمع المدني لضمان أن لا تحظى أي فئة بمزايا على حساب أخرى، بل يتعاون الجميع من أجل مستقبل أفضل للبنان.

إن تحقيق هذه التعهدات يتطلب رؤية واضحة، وتخطيطًا منظمًا، وتعاونًا فعالًا بين جميع الجهات المعنية. من الضروري أن يتم متابعة تنفيذ كل خطة وفق جداول زمنية محددة وتقييم مستمر لتحقيق الأهداف المرجوة. ■

* صحافي - وزير لبناني سابق

بعد سنتين وشهرين من شغور الموقع

رئيس جمهورية ميثاقي للبنان

بيروت ـ غاصب المختار*

بعد سنتين وشهرين وثمانية ايام، انتخب مجلس النواب اللبناني قائد الجيش العماد جوزيف عون رئيساً للجمهورية، بمجموع 99 صوتاً. وهو الرئيس الـ14 للجمهورية اللبنانية، والقائد الخامس للجيش الذي يأتي رئيساً للجمهورية. والقى خطاب القسم امام نواب الامة وضمّنه تعهدات كثيرة وجوهرية دستورية وسياسية، واصلاحية، بينها اعداد قانون جديد للإنتخابات وتطبيق اللامركزية الادارية الموسعة وقانون استقلالية القضاء، وادارية وامنية واقتصادية ومعيشية– اجتماعية وتربوية وبيئية، وتنموية تلحظ اعادة اعمارماهدمه العدوان الاسرائيلي، وحماية الحدود بتعزيز قوة الجيش، وغيرها ما يحتاج تنفيذها الى حكومة متجانسة ومتفاهمة مع الرئيس لا نكايات وسلبيات وتعطيل فيها، والى دعم نيابي بالتشريع لتحقيق الاصلاحات الموعودة.

وتلا انتخاب عون تكليف رئيس محكمة العدل الدولية الدكتورنواف سلام رئاسة الحكومة وسط ازمة ميثاقية مع المكون الشيعي سرعان ما بدأ العمل على معالجتها مع الرئيس نبيه بري.

جاء انتخاب الرئيس عون بعد مسار شاق ومضني من المساعي والمفاوضات العربية والدولية استمرت اشهراً، لكن بلانتيجة بسبب تضارب المصالح الداخلية والخارجة حول اي رئيس سيكون للبنان واي توجه سيحمل واي دولة سيبني، وتكثفت المساعي في الاسابيع الاخيرة السابقة لجلسة الانتخاب، بخاصة بعد وقف الحرب العدوانية الاسرائيلية على لبنان والدخول في مهلة الستين يوماً لتنفيذ اتفاق وقف اطلاق النار والتزام لبنان وحزب الله به، برغم انتهاكات الاحتلال الاسرائيلي له من اللحظة الاولى وطيلة فترة الشهرين. وكذلك بعد الانقلاب الكبير الذي حصل في سوريا واطاح بنظام الرئيس بشار الاسد، في ما بدا انه بداية مسار اقليمي جديد ترتسم فيه خرائط جيو ـ سياسية جديدة تتطلب انظمة حكم جديدة وتوجهات جديدة في المنطقة. لكن كان لا بد من طمأنة الداخل اللبناني ذو التركيبة الخاصة سياسيا وطائفياً بما يراعي التوازنات الدقيقة والحساسة في البلد والتي يؤدي اي خلل فيها الى نتائج وخيمة.

مفاوضات الساعات الاخيرة

وسبقت جلسة انتخاب عون بأسابيع قليلة حركة موفدين سعوديين وقطريين وفرنسيين واميركيين ومصريين، ونصائح بإغتنام فرصة التغيير في المنطقة وحث القوى السياسية على انتخاب رئيس للإستفادة من المتغيرات بدل ان تأتي على حساب لبنا ن ومصالحه. ودخلت البلاد في بازار الترشيحات للرئاسة وبدأت عملية غربلة الاسماء وصولا الى حصرها بثلاثة فقط كان ابرزها قائد الجيش، وبدفع اميركي وسعودي انضم له الفرنسي. وابلغ الموفدون من الدول الثلاث الاميركي اموش هوكشتاين، والسعودي يزيد بن فرحان، والفرنسي جان إيف لودريان، كل القوى السياسية ان مرشحهم المفضل هو العماد جوزيف عون حصراً، نظراً للصفات التي وجدوا انه يتمتع بها لإنقاذ لبنان.

وإنتهى الليل الطويل من المشاورات اللبنانية ـ السعودية ـ الاميركية فجر جلسة الانتخاب إلى اتفاق على ضمانات أميركية ـ سعودية، أُعطيت للثنائي الشيعي خصوصاً وللبنان عموماً، وأتاحت حصول التوافق شبه الجامع نهاراً على انتخاب قائد الجيش رئيساً للجمهورية، وتقضي الضمانات بإلزام اسرائيل بالانسحاب من الجنوب في الايام المتبقية من هدنة الستين يوماً التي من المفروض ان تكون قد انتهت في 27 من كانون الثاني مالم يقرر الاحتلال تمديد احتلاله لبعض النقاط الحيوية في الجنوب، وتقضي ايضا بتنفيذ القرار الدولي 1701 كاملاً من جهتي الحدود بكل مضامينه، وتثبيت مرجعية الثنائي في القرار الشيعي وموقعه في السلطة التنفيذية الجديدة التي كان انتخاب رئيس الجمهورية اللبنة الاولى فيها.

وتقول مصادر تابعت المشاورات لـ «الحصاد»:إن عون بدّد هواجس الثنائي أمنياً وسياسياً وعسكرياً وإعمارياً، وهذا ما أفضى إلى منحه أصوات نواب الثنائي في البرلمان. كما أن التفاهم بين عون والثنائي وضعَ ضوابط للتعامل بين الطرفين في المرحلة المقبلة تتصل بأجندة العهد الجديد، بدءاً من إعادة الإعمار، وشكل الحكومة وصولاً إلى مسألة المقاومة ودورها وحمايتها، تثبيتاً للاتفاق الذي أُنجز مع الخماسية.

ويُمكن القول إن صياغة الإخراج، أتت بعد مفاوضات وصفت بأنها كانت شاقّة مع حزب الله وحركة أمل، اللذين تقصّدا تمرير رسالة واضحة إلى الداخل والخارج، بأن لا رئيس بالفرض من دون الاتفاق معهما، وبأن جوزيف عون لا يمكن أن يكون رئيساً من دون أصوات الثنائي، وأنه لا يُمكن صناعة الرؤساء بمعزل عنهما، وعلى الجميع أن لا يُخطئ في الحسابات ويتعامل مع حزب الله تحديداً باعتباره من الماضي.

وقد جاءت الرسالة في الدورة الأولى التي نالَ فيها عون 71 صوتاً، بعد أن اقترع نواب كتلتي حزب الله وحركة امل بأوراق بيضاء، برغمَ أن التسوية معهما كانت قد أُنجزت في ساعات الليل. وهي رسالة معنوية بأن الدور الأخير والحاسم في إكمال النصاب العددي والسياسي هو للمكوّن الشيعي.

وفي المعلومات ايضاً، كان تأكيد سعودي على ان الرياض ليست في صدد دعم اي اختلال في التوازنات الداخلية اللبنانية، وانها حريصة على الاستقرار الداخلي اللبناني في ظل المتغييرات الاقليمية والدولية وخصوصا في سورية، مع التزام المملكة بتشجيع الحوارات الداخلية حيال اي موضوع خلافي.

خطاب القسم والتعهدات الصعبة

القى رئيس الجمهورية الجديد جوزيف عون خطاب القسم امام نواب الامة بعد انتخابه، وضمّنه تعهدات عالية السقف جداً على كل المستويات، بحيث أثارت تساؤلات عن امكانية تنفيذها كلها اوحتى الجزء الاكبرمنها، مع ان بعض الجهات النيابية من «حركة امل» اشارت لـ «الحصاد» بشكل واضح الى ان الخطاب لم يتضمن في الشق المتعلق بتنفيذ الدستور، ما يفيد بالتوجه لإلغاء الطائفية السياسية، ولو ان الرئيس تعهد بوضع قانون انتخابي جديد، اعتبرت الجهات النيابية انه يمكن ان يكون مدخلاً يمهّد تدريجياً لإلغاء الطائفية السياسية ومن ثم تشكيل او انتخاب مجلس للشيوخ يمثل كل الطوائف حسب نص الدستور.

سبق للعديد من رؤساء الجمهورية (وكانوا مدعومين من الخارج بقوة كما الرئيس الحالي عون) ان تعهدوا بكثيرمن الامور المهمة لبناء دولة حديثة عادلة لا مكان فيها للمحاصصات السياسية والطائفية والزبائنية والفساد والهيمنة وسيطرة المال، لكنهم اصطدموا بطبيعة التركيبة السياسية اللبنانية المعقدة والصعبة، وبحسابات صغيرة مصلحية للقوى السياسية، وهي بطبيعتها مختلفة بين بعضها على امور كثيرة استراتيجية وطنية وإجرائية ادارية وحول كيفية إدارة الدولة، وحصة كل طرف فيها.

والشواهد كثيرة منذ البدء بتطبيق اتفاق الطائف بداية تسعينيات القرن الماضي حتى الآن.

اما وقد تعهد الرئيس بما تعهد به، فقد يظن البعض انه امر سهل التطبيق، بينما الحقيقة المرّة ان الطبقة السياسية الحاكمة لم تغير مفاهيمها بعد لكيفية اعادة بناء الدولة الحديثة. بدأت تتصارع على تشكيل الحكومة الاولى للعهد الجديد ترشيحا لرئيسها العتيد، وبطرح مطالب وشروط لتسهيل تشكيل الحكومة. ومثل هذا الواقع لا يُبنبيء بتسهيل عهد الرئيس الجديد، مالم يكن هوحازماً في قراره ولو بصلاحيات محدودة دستوريا لرئيس الدولة، فيقبل بما يخدم تعهدات خطاب القسم، ويرفض ما يعرقلها.

ولأن العبرة دائماً في الافعال، سيحكم الواقع »

خطاب التعهدات الصعبة

■ بعد انتخاب الرئيس جوزيف عون، جاء خطاب القسم الذي دوت قاعة الجلسات في مجلس النواب طوال إلقائه بالتصفيق الحار ليطلق مجموعة تعهدات قياسية في إعادة النصاب إلى مفهوم الدولة. وقال: مهما اختلفنا فإننا عند الشدة نحضن بعضنا البعض وإذا انكسر أحدنا انكسرنا جميعا. ويجب تغيير الأداء السياسي في لبنان، وعهدي إلى اللبنانيين أينما كانوا وليسمع العالم كله، أن اليوم بدأت مرحلة جديدة من تاريخ لبنان وسأكون الخادم الأول للحفاظ على الميثاق ووثيقة الوفاق الوطني، وأن أمارس صلاحيات رئيس الجمهورية كاملة كحكم عادل بين المؤسسات.

وتتلخص أبرز تعهداته بـ: إذا أردنا أن نبني وطناً فإن علينا أن نكون جميعاً تحت سقف القانون والقضاء، التدخل في القضاء ممنوع ولا حصانات لمجرم أو فاسد، ولا وجود للمافيات ولتهريب المخدرات وتبييض الأموال، عهدي هو التعاون مع الحكومة الجديدة لإقرار مشروع قانون استقلالية القضاء، وأن أطعن بأي قانون يخالف الدستور، وعهدي هو الدعوة لإجراء استشارات نيابية في أسرع وقت لإختيار رئيس حكومة يكون شريكاً وليس خصماً، سأعمل على تأكيد حق الدولة في احتكار حمل السلاح، سنستثمر في الجيش لضبط الحدود وتثبيتها جنوباً وترسيمها شرقاً وشمالاً ومحاربة الإرهاب ويطبق القرارات الدولية ومنع الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان، سنناقش استراتيجية دفاعية كاملة على المستويات الديبلوماسية والاقتصادية والعسكرية بما يمكن الدولة اللبنانية من إزالة الإحتلال الإسرائيلي وردع عدوانه، عهدي أن نعيد ما دمره العدو الإسرائيلي في الجنوب والضاحية والبقاع وفي كل أنحاء لبنان، آن الأوان لنراهن على استثمار لبنان في علاقاتنا الخارجية لا أن نراهن على الخارج للاستقواء على بعضنا البعض، سنمارس سياسة الحياد الإيجابي ولن نصدر للدول إلا أفضل المنتجات والصناعات ونستقطب السياح.

ضمانات عون للثنائي

■ تضمنت تعهدات وضمانات الرئيس عون لثنائي امل وحزب الله التي وردت علنا في خطاب القسم، وقف الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان، ومناقشة استراتيجية دفاعية كاملة على المستويات الديبلوماسية والاقتصادية والعسكرية بما يمكن الدولة اللبنانية من إزالة الإحتلال الإسرائيلي وردع عدوانه، وأن نعيد ما دمره العدو الإسرائيلي في الجنوب والضاحية والبقاع وفي كل أنحاء لبنان.

اما التعهدات التي لم ترد في خطاب القسم فكانت حسب مصادر الثنائي الشيعي تسمية نجيب ميقاتي رئيسا للحكومة لأنه يطمئن الثنائي الى استكمال تحرير الجنوب واعادة الاعمار، وتعهداً بمراعاة تمثيل الطرفين تمثيلا عادلا ومستحقا في الحكومة الجديدة. مع الاشارة الى اصرار حركة امل على ان تكون حقيبة المالية من حصتها ليكون للطائفة الشيعية موقعها في الحكم عبر التوقيع على كل المراسيم والقوانين التي تصدر وتتضمن اعباءً مالية. وانطلق الثنائي من مطالبه هذه بأن عمر الحكومة سيكون سنة وثلاثة اشهر،موعد إجراء الانتخابات النيابية الجديدة (ايار ـ مايو 2026). عندها يتم تشكيل حكومة جديدة برئيس جديد يُتفق عليه.

على مسيرة الرئيس الجديد ما اذا كان سيتهاون في عدم تسهيل السياسيين لمهمته الانقاذية المفترضة ام انه سيواجه العرقلة. لا سيما انه لوتم تشكيل الحكومة بسهولة ويسر، فإن امامها ورشة تعيينات ادارية وامنية وقضائية واسعة، اعتادت القوى السياسية على ان تضع يدها عليها بتقاسم المواقع سياسياً وطائفياً، وقد يكون هذا الامر معرقلاً لتوجهات الرئيس وتعهداته. كما ان قانون الانتخاب الجديد المفترض ان يتم التطرق اليه باكراً قبل الانتخابات المقبلة، قد يكون سبباً لخلافات واسعة، عدا الامور الاخرى التي وعد الرئيس بتنفيذها مثل اللامركزية الموسعة حيث لكل طرف وجهة نظر فيها. ومثل قانون استقلالية السلطة القضائية... وغيرها الكثير من القوانين والتوجهات التي تضمن بناء الدولة الحديثة.

رئيس الحكومة وازمة الميثاقية

بعد انتخابه مباشرة حدد الرئيس عون مواعيد الاستشارات النيابية الملزمة وفق الدستور لتسمية رئيس جديد للحكومة، واعلن النائب المعارض فؤاد مخزومي والنائب أشرف ريفي ترشيحهما لرئاسة الحكومة وهما من الكتلة النيابية نفسها (تجدد)، كما اعلن النائب المعارض من تجمع «نواب التغيير» ابراهيم منيمنة ترشحه، ما اثار بلبلة وخلافات بين اركان المعارضة انتهت الى سحب ترشيح الثلاثة بعد تدخلات واسعة خارجية، والاتفاق على ترشيح القاضي في محكمة العدل الدولية ممثل لبنان السابق في الامم المتحدة الدكتورنواف سلام. بينما اتجهت القوى الاخرى لا سيما كتلتي امل وحزب الله وحلفاؤهما لتسمية الرئيس نجيب ميقاتي.

انتهت الاستشارات النيابية الملزمة التي اجراها رئيس الجمهورية جوزيف عون بتسمية القاضي سلام رئيساً للحكومة بـ 48 صوتا مقابل 9 اصوات حصل عليها الرئيس نجيب ميقاتي. و35 نائباً لم يسموا احداً، من اصل مجموع عدد نواب المجلس البالغ 128 نائبا، بينهم كتلتا امل وحزب الله وحليفهما «التكتل الوطني المستقل».

وأطل الرئيس عون على الصحافيين في قصر بعبدا بشكل مفاجئ بعد يومهم الطويل لمواكبة الاستشارات النيابية، وقال: الخطوة الأولى انتهت واتمنى ان يكون التأليف سلسا بأسرع وقت، لانه تنتظرنا فرص كبيرة. وافادت مصادر مطلعة على اولويات الرئيس عون لـ "الحصاد": انه يركز على اولوية تشكيل الحكومة بسرعة حتى ينطلق العمل الرسمي بصورة متكاملة، لذلك سارع الى تحديد مواعيد الاستشارات النيابية الملزمة بعد يوم واحد من انتخابه. ويأمل الرئيس ان يتم تشكيل الحكومة خلال فترة قصيرة حتى تبدأ عجلة العمل الرسمي بصورة طبيعية وسلسة وبما يؤدي بعد تشكيل الحكومة الى انتظام عمل المؤسسات الدستورية والرسمية العامة.

الرئيس جوزيف عون يقسم اليمين

بري: رفض الامر الواقع

لكن جاءت نتيجة الاستشارات من دون رضا نواب الطائفة المسلمة الشيعية التي اعتبرت انه تم خرق التفاهمات التي حصلت لإنتخاب رئيس الجمهورية، وظهرذلك في موقف رئيس كتلة الوفاء للمقاومة محمد رعد ومغادرة الرئيس نبيه بري القصر الجمهوري بدون الادلاء بأي تصريح خلافاً للعادة بعد انتخاب كل رئيس. مايعني احتمال حصول مشكلات سياسية جديدة تحت عنوان تجاوزالميثاقية كما قال المفتي الجعفري الممتاز الشيخ احمد قبلان، ما لم يتم تداركها في طريقة تشكيل الحكومة ومنح الثنائي تطمينات، لا سيما وان بعض نواب المعارضة تعاطى مع النتيجة كأن الطائفة الشيعية باتت منكسرة اومهزومة، مقابل كلام معظم النواب الاخرين الداعي الى احتضان كل المكونات وفتح صفحة جديدة.

واعتبر «الثنائي الشيعي» بحسب توصيفه انه تعرض لخديعة سياسية من العيار الثقيل حيث أن الرئيس ميقاتي نام رئيساً للحكومة الى أن حصلت المفاجأة الكبرى بتسمية سلام.كما تفيد المعلومات أن رئيس الجمهورية جوزيف عون عاش بدوره هذه المفاجأة الكبيرة حيث توجهت أكثر من كتلة ونائب الى تسمية سلام.

ونُقل عن الرئيس بري (الذي ظهر مستاءً جدا في اجتماعه مع الرئيس عون بعد انتهاء الاستشارات وتكليف سلام) «ليس هذا ما اتفقنا عليه. ونرفض التسليم بالامر الواقع» . على هذه انطلق الرئيس سلام بتشكيل الحكومة المفترض ان تضم كل الاطراف بمن فيها ثنائي امل وحزب الله اذا وافقاعلى الانضمام اليها ولم يتجها الى المعارضة الا اذا حصل ما يمكن التعويل عليه خلال التشاور للتأليف..

اما رئيس كتلة حزب الله محمد رعد وعضو كتلة حركة امل ايوب حميد فأكدا بعد الاستشارات ان ماجرى يناقض مقدمة الدستور التي تقول: «ان اي سلطة خارج الميثاقية لا شرعية لها».

وتحدثت المعلومات عن كلمة سرمفاجئة اميركية ـ سعودية بشكل خاص وردت عشية الاستشارات الى الكتل النيابية لتسمية سلام، لأنه حسب مصادر قوى المعارضة التي سمّته يواكب حركة التغيير المطلوبة في لبنان بعد التغييرات التي حصلت في المنطقة عموماً، بينما اعتبرت مصادر ثنائي امل وحزب الله ان ما جرى هوانقلاب على التفاهمات التي جرت قبل انتخاب رئيس الجمهورية وتضمنت ضمانات وتطمينات لهما منها تسمية نجيب ميقاتي رئيسا للحكومة وعدم الاستبعاد لا سيما في تسمية وزير المالية وهوما تبين انه لم يقنع الحكم الجديد.

وحسب مسؤول رسمي رفيع المستوى فإن الحكم وافق على بقاء حقيبة المالية بيد الطائفة الشيعية، لكنه رفض ان يسمي الثنائي الشيعي الوزير. وعلمت «الحصاد» ان احد المطروحين للحقيبة هو الخبير المالي والاقتصادي محمد الحاج ابن منطقة الغبيري بالضاحية الجنوبية والمحسوب على قوى سياسية اخرى مثل تيار المستقبل، وسبق ان عمل 27عاما في صندوق النقد الدولي مساهماً في حل مشكلات دول الشرق الاوسط المتعثرة مالياً واقتصادياً.

وبدامن اجتماع الرؤساء الثلاثة عون وبري وسلام ثاني يوم التكليف ان ازمة المشاركة الشيعية في طريقها للحل، حيث خرج رئيس المجلس مبتسماً، بينما تلا الرئيس المكلف بيانا اشبه ببرنامجه الوزاري ركز فيه على وضع الجنوب واعادة الاعمار وعلى الاصلاح وتطبيق إتفاق الطائف، واكد «إني لستُ من أهل الإقصاء بل من أهل الوحدة. ولا من أهل الإستبعاد بل من أهل الشراكة الوطنيّة. ويداي ممدودتان للجميع من أجل البدء بالإصلاح كي لا يشعر أي مواطن بالتهميش».

* صحافي وكاتب سياسي

دين الحب في لبنان

محمد المشنوق*

كلما قرأت دعوات من السياسيين للمحبة بين أبناء الوطن الواحد لبنان أتذكر أبياتاً لمحي الدين بن عربي يقول فيها:

كنت قبل اليوم أنكر صاحبي / إن لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة / فمرعىً لغزلانٍ، ودير لرهبانِ
وبيتٌ لأوثانٍ، وكعبة طائفٍ / وألواح توراة، ومصحف قرآنِ
أدين بدين الحب أنّى توجهتْ / ركائبه، فالحب ديني وإيمانِي

عند الحديث عن القبول بالآخر والعيش في سلام في وطن الأرز، تجذبنا كلمات محي الدين بن عربي، التي تعكس فلسفة الانفتاح على الآخر والمحبة التي يجب أن تسود بين البشر. تعكس الأبيات التي أوردتها تجربة إنسانية عميقة تعزز فكرة أن الحب هو دينٌ شامل، يتعدى كل الانقسامات المذهبية والطائفية. ومع تصاعد الدعوات للمحبة والوحدة بين أبناء لبنان، نجد أنفسنا أمام مفترق طرق تحتاج فيه مجتمعاتنا إلى إعادة التفكير في هويتها وتنميتها بعيدًا عن المعايير الطائفية.

في تاريخ لبنان، كانت الطائفية جزءًا رئيسيًا من تشكيل الهوية السياسية والاجتماعية. فقد اتسمت البلاد بتنوعها الفريد، حيث اختلطت الثقافات والأديان، مما أسهم في خلق مجتمع غني، لكنه معقد في آن واحد. إلا أن تلك التركيبة ساهمت في نشوء معايير طائفية أدت في كثير من الأحيان إلى تهميش بعض الفئات. ومع مرور الزمن، أصبح هناك وعي متزايد بأهمية الانتقال من هذه المعايير الطائفية إلى معايير وطنية تسلط الضوء على قيم الانتماء والامتزاج.

لقد مر لبنان بتجارب مؤلمة خلال الحرب الأهلية (1975–1990) التي أظهرت بوضوح المخاطر التي تنجم عن الانقسام الطائفي. خلال تلك الفترة، فقد العديد من اللبنانيين أيديهم، وفقد الوطن الكثير من القيم الإنسانية والأخلاقية التي من المفترض أن تسود. ليس من باب المبالغة القول إن الحرب كشفت عن ضرورة إنشاء قاعدة جديدة للتفاهم داخل المجتمع اللبناني، تلك القاعدة التي يجب أن تكون مبنية على الاحترام المتبادل وقبول الآخر.

في سياق البحث عن القبول بالآخر، نجد الشعراء العرب، خاصة منهم اللبنانيين، يبثون رسائل قوية تعكس هذه المفاهيم الإنسانية النبيلة. يقول الشاعر اللبناني جبران خليل جبران: "إن أحببت فلا تظل محبًا لأحد إلا بأن تعرف كيف تحب". يعكس هذا الاقتباس فكرة أساسية، وهي أنه يجب على كل فرد أن يسعى لفهم الآخر، والتقرب منه بروح التسامح والاعتراف بحقوقه.

في إطار هذا الفهم، تظهر أهمية نشر ثقافة التسامح بين الأجيال الناشئة. فعلى سبيل المثال، تسعى العديد من المؤسسات اللبنانية إلى تعزيز التربية الوطنية التي تدعم مفاهيم القبول والاحترام المتبادل. إن تدريس تاريخ لبنان المتنوع، بجميع جوانبه، يساعد على تكوين شخصية وطنية تتخطى الحواجز والعوائق. إن هذه الجهود لا بد أن تسهم في بناء مجتمع أكثر توافقًا وتعاونًا، مختصرًا بذلك المسافات النفسية بين الأفراد.

وبالانتقال إلى شعراء آخرين، نجد أن نزار قباني، الشاعر المعروف، يعبر عن حب الإنسان للإنسان بعيدًا عن الاختلافات. يقول: «الشوق لا يعبأ بالأعراق والأصل». هذه العبارة تلخص ببساطة أنه لا ينبغي للهوية الاجتماعية أو الطائفية أن تكون عائقًا أمام الحب والرغبة في التقارب. فعندما نفهم أن المشاعر الإنسانية تتجاوز الحدود المصطنعة، نستطيع أن نُحسن التواصل ونبني مجتمعًا متماسكاً.

علاوة على ذلك، يمكن أن نستحضر مقولات لشاعر مصري شهير مثل أحمد فؤاد نجم، الذي كان دائمًا يبرز أهمية النضال من أجل حقوق الإنسان والقبول بالاختلاف. يقول: «لا يمكن أن يوجد وطن بدون حرية، ولا حرية بدون قبول الآخر». هذه الكلمات تعكس بوضوح أن بناء الوطن يتطلب منا تعزيز قيم الحرية والمساواة، وهو ما يتطلب منا جميعًا رص الصفوف لتحقيق أهداف نبيلة.

حين ننظر إلى الماضي القريب وما مر به لبنان من الأزمات السياسية والاقتصادية، فإن حاجة اللبنانيين للقبول بالآخر، وللتوحيد في سبيل بناء المستقبل، تزداد وضوحًا. فقد أظهرت التجارب أن بلاد الأرز تمتلك قدرة فريدة على النهوض من تحت الرماد، ولكن هذا لن يتحقق إلا من خلال تعزيز الهوية الوطنية التي تحتضن كل الأديان والطوائف.

لبنان هو نموذج عالمي في التنوع، لكنه في ذات الوقت يأتي مع تحديات تتطلب الوعي والتضامن. إن ارتباط الناس بالمكان وبالتاريخ هو ما يجعل لبنان فريدًا في تكوينه، ومع ذلك، يجب أن ندرك أن هذا التعدد لا يمكن أن يكون مصدر تفرقة، بل يجب أن يتحول إلى مصدر قوة. كما يشير فيلسوف ومفكر لبناني بارز، أنطوان مقدسي، عندما قال: «تاريخنا المشترك هو جسرنا نحو المستقبل».

لذا، يعتبر القبول بالآخر مسارًا يجب أن يُتنفذ في جميع جوانب الحياة اللبنانية، سواء كانت الحياة السياسية، الاجتماعية، أو الثقافية. فمن خلال التواصل والتفاعل المباشر بين الأفراد من خلفيات متنوعة، يمكننا تجاوز الفجوات العميقة. يحدث ذلك عندما يتبنى الناس عقيدة «نحن معًا، أو لا أحد»، كما قال الشاعر عبد الرحمن الأبنودي: «المحبّة لا تفرّق بين الأديان».

في ضوء ذلك، لابد من الإقرار أن تحقيق السلام الدائم في لبنان يتطلب جهودًا جماعية، يتعاون فيها الأفراد والجماعات، سواء كانت مجتمعات مدنية أو مؤسسات حكومية. يبدأ هذا التعاون بتعليم الأطفال مبادئ التسامح، حيث نجد في قصائد الشاعر اللبناني سعيد عقل ما يعكس هذه الفلسفة، حيث يقول: «لا تسألني عن لون دمي، فأنا إنسان». تعكس هذه العبارة قيمة الإنسانية التي يجب أن تكون المحور الأساسي لكل نقاش حول القبول بالآخر.

إن تعزيز القيم الإنسانية، والقبول بالاختلاف، وبناء العلاقات الوثيقة بين المكونات الاجتماعية المختلفة هي كلّها خطوات هامة نحو تحقيق السلام الحقيقي في لبنان. عندما نعترف بأن لكل شخص قصة، وتجربة، ورؤية، فإننا نكون قد بدأنا في بناء مجتمع يتجاوز الجدران النفسية والاهتمامات الذاتية.

يعتبر الانتقال من المعايير الطائفية إلى المعايير الوطنية رحلة تحتاج إلى صبر وعمل جماعي. فإذا تمكنا من التعلم من دروس التاريخ واستخدام الفنون كوسيلة للتواصل، سنتمكن من خلق تيار تاريخي جديد يعبر عن الوحدة في التنوع. قد يكون الشعر والفن وسيلتين قويتين للتعبير عن المشاعر الوطنية، ولبنان على وجه الخصوص قد أظهر قدرته على الاستجابة للفنون في الكثير من المحطات.

في النهاية، لن يصل لبنان إلى بناء قاعدة صلبة للقبول بالآخر إلا من خلال قناعة جماعية بأن النجاح والازدهار لن يتحقق إلا عندما نرتفع فوق خلافاتنا ونجتمع تحت راية الوطن. وكما قال الشاعر اللبناني المميز وديع الصافي، «لا نعيش لنفسنا فقط، بل لنترك أثرًا في قلوب الغير». وهكذا، يجب أن نعمل جميعًا من أجل غدٍ أفضل، حيث يعم السلام والمحبة، وحيث تكون هناك مساحة للجميع، بغضّ النظر عن الدين أو الطائفة، لأن النتيجة ستكون لبنان أكثر تماسكًا، وضوءًا في منطقة تتوق إلى السلام والوئام.

* صحافي - وزير لبناني سابق

في ظل تحديات داخلية وخارجية

كيف ستكون ملامح سورية الجديدة؟

القاهرة: صفاء عزب*

«علينا أن ننظر إلى تغيير النظام في سورية دون سذاجة».. تصريح للرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون تعليقا على التطورات التي تشهدها سوريا في أعقاب سقوط نظام الأسد. وهو يعكس حالة من التوجس والقلق الذي أصاب الكثيرين أيضا بشأن مستقبل سورية في ظل حكم جبهة تحرير الشام المسلحة والمنحدرة من باطن جماعات عنيفة ومتطرفة قبل أن يستقل عنها أحمد الجولاني ويتزعمها في ظل أوضاع إقليمية وسورية خطيرة.

ما يثير القلق على سورية ومستقبلها هو ما يحاك لها ولشعبها في الخفاء وهو ما تشي به تصريحات رئيس وزراء دولة الاحتلال الصهيوني خلال زيارته لمرتفعات الجولان السورية بأن سقوط الأسد يوم تاريخي في الشرق الأوسط مشيرا لسعادته بانفراط ما أسماه "الحلقة المركزية لمحور الشر" قاصدا محور المقاومة والتي اعترف بأن ما حدث لم يكن ليحدث لولا الضربات التي وجهتها دولة الاحتلال إلى إيران وحزب الله الداعمين الأساسيين لسورية. بين جرأة رئيس وزراء دولة الاحتلال للتواجد بهضبة الجولان السورية وتبجحه في التباهي بضرباته لـ"محور الشر" التي أدت إلى سقوط نظام الأسد، تتكشف ملامح خطيرة لما يمكن أن يخطط له في الخفاء ليس لسورية وحدها وإنما للمنطقة كلها خاصة مع وصف نتنياهو الإطاحة بالرئيس بشار الأسد بـ"الفرصة الجديدة المهمة"!

لاشك أن السوريين يعلقون آمالا عريضة على النظام الجديد خاصة ما يتعلق بمجال الخدمات وتحسين الأوضاع المادية والاجتماعية الصعبة التي يعانونها بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية. ولكن على صعيد آخر هناك تساؤلات حول الوضع الأمني ومستقبل وتوجه الجيش السوري والعلاقات مع دول الجوار والتعاطي مع الواقع الإسرائيلي الذي فرضه الاحتلال بالإستيلاء على أراض سورية جديدة ومستقبل محور المقاومة بسورية خاصة في ظل خروج الحليف الروسي والإيراني من البلاد، يضاف إلى ذلك علامات استفهام حول أسلوب تعاطي الإدارة الجديدة مع قضايا المرأة وتمكينها من المناصب الرفيعة وكذلك مفهوم المواطنة وكيفية مواجهة حالة التشرذم الموجودة من خلال تعدد الألوية والتنظيمات المسلحة ذات التوجهات والانتماءات المختلفة والمدعومة من جهات خارجية بشكل يهدد الأمن والاستقرار السوريين، فكيف ستكون ملامح سورية الجديدة؟!

تركة مثقلة بالمشاكل

علينا أن نعترف أن النظام الجديد في سورية تسلم تركة مثقلة بالأعباء والمشكلات المزمنة على مدار سنوات طويلة ساهمت فيها أوضاع المنطقة ككل والضغوط التي تعرض لها النظام السوري السابق داخليا وخارجيا والعقوبات التي فرضت عليه بالإضافة إلى عدم التوفيق في تعاطيه مع القضايا الاجتماعية والحقوق السياسية والتي ارتبطت بانتهاكات ممن مارسوا استغلال مناصبهم السياسية والأمنية في الحقبة السابقة.

وتؤكد الأرقام التي أوردتها تقارير إعلامية على صعوبة الوضع السوري حاليا فهناك 70% من الشعب السوري يقعون تحت خط الفقر. ومنذ عام 2011 انخفض الناتج المحلي الإجمالي لسورية من 60 مليار إلى 10 مليار دولار بينما تتطلب عملية الإعمار 400 مليار دولار.

كما توجد إشكالية أخرى تتعلق بإدارة موارد البلاد الداخلية والعمل على توزيعها بشكل عادل بين مختلف المحافظات السورية وهي من الأمور التي ينتظر الشعب تحقيقها خاصة في المحافظات المظلومة والمحرومة من الاستفادة من مواردهم.

بعد زوال النظام بكل رموزه ارتفع سقف الطموح والآمال العريضة لدى الشعب السوري بكل فئاته وطوائفه لتعويض ما فاته من حقوق ومكتسبات وهو ما يشكل عبئا إضافيا على قادة سورية الجديدة لصعوبة تحقق ذلك كليا وبشكل سريع على المستوى العملي والواقعي وقد يستغرق الأمر سنوات لتحقيقه على أرض الواقع بافتراض حسن نوايا الجولاني ورجاله وصدقهم فيما أكدته تصريحاتهم الأولى عن تحرير الشعب والعمل على استعادته لحقوقه وغيرها من الشعارات التي رفعت لدغدغة المشاعر وتمهيد مسرح الأحداث لتمكينهم من سدة الحكم.

يمتلك رجال النظام الجديد خبرة عملية في إدارة محافظة إدلب السورية عندما سيطروا عليها عام 2017 ولكن هل حكم سورية مثل إدارة إدلب؟!

لقد نجح الشرع في التكيف والتعامل بذكاء وبراجماتية مع الغرب ففتح الباب لمساعداتهم الإنسانية ومنظماتهم الأهلية كما رحب باللقاء مع كبار المسؤولين منهم. وهو يحاول إرسال رسائل طمأنة للعالم بين مناسبة وأخرى ولكن هل هذا يكفي لطمأنة الشعب السوري داخليا؟

هيئة تحرير الشام بقيادة أحمد الشرع.

أداء داخلي هزيل

تترقب العيون السورية المؤتمر الوطني الذي تمت الإشارة إليه في بداية ظهور الجولاني وجماعته على مسرح الأحداث، كوسيلة لاجتماع كافة الأطياف السورية على مائدة واحدة لرسم مسار جديد للبلاد، ولكن حتى اللحظة لم تتكشف معالم واضحة للأطياف المدعوة على مائدة الحوار ، وهو المؤتمر الذي تأخر الإعلان عنه قبل أن يتم تأجيله بحجة التريث وعدم التسرع بهدف تحقيق النتائج المرجوة منه. وبطبيعة الحال فإن هذا التأجيل يتسبب في اهتزاز مصداقية الجولاني والثقة فيه سيما مع تأكيد أعضاء لجماعات معارضة بأنهم لم يتلقوا أية دعوات لحضور هذا المؤتمر. وربما يفسر لنا ذلك ما تشهده سورية من وقت لآخر من مظاهرات لمعارضين يعبرون عن مطالبهم ومخاوفهم في ذات الوقت. وإذا كانت هكذا البداية فهل تصدق وعود النظام الجديد فيما يتعلق بموعد الانتخابات وإقرار الدستور! إلى جانب هذه الاستحقاقات يثور القلق حول قضايا خاصة بالمرأة ودورها في المرحلة المقبلة ومدى إتاحة الفرصة لمختلف الثقافات للإندماج والمشاركة في مرحلة البناء والتنمية التي ينتظرها السوريون.

كما توجه انتقادات لوزارة تصريف الأعمال التي تم تعيينها لتسيير أمور الشعب بشكل مؤقت، وذلك لأن الحكومة تتخذ من القرارات والإجراءات التي تثير قلق الشعب السوري بمختلف أطيافه حيث يرون أنها إدارة متأثرة بالعامل الأيديلولوجي رغم كل المحاولات بتجميلها أمام العالم. ويرى محللون أن هناك تناقضا بين خطاب أحمد الجولاني داخليا وخارجيا. وأمام ذلك تثور الشكوك في إمكانية قيام هذه الحكومة بتسليم السلطة لحكومة توافقية في الموعد المتفق عليه.

وبشكل عام فإن أداء هذه الحكومة لازال هزيلا يفتقد إلى الخبرة. ولعل حادث التدافع الذي وقع عند المسجد الأموي مؤخرا وتسبب في حالات وفاة وإصابات لأطفال ونساء، يكشف القصور الشديد في الأداء الأمني الداخلي والتقصير المؤلم بحق فئات الشعب الفقير الذي تكالب على فعالية معلن عنها لإطعام الطعام من قبل شخصية شهيرة قبل عدة أسابيع وكان يفترض أن يكون الأمن على دراية وخبرة بكيفية الاستعداد لهذا النوع من الأحداث الجماهيرية ويتخذ التدابير التي تحفظ حياة الناس وهو ما لم يحدث.

كما يكشف الحادث أيضا المعاناة الشديدة التي يعانيها السوريون من الفقر واستمرار هذه المعاناة رغم مرور أكثر من شهر على تولي النظام الجديد وهي وإن كانت مدة قصيرة على حل المشكلة ولكن كان من الأجدر عدم اتخاذ قرارات من شأنها تعميق معاناة السوريين مثل إلغاء دعم رغيف الخبز الذي يقتاته الفقراء وكذلك العبث بأسعار صرف الدولار الذي يعتمد عليه الكثيرون ممن يتلقون مساعدات من ذويهم بالخارج. كما تبدو الحكومة عاجزة حتى اللحظة عن مواجهة جرائم السرقة وانتشار العملات الأجنبية المزيفة بشكل يضر بمصلحة المواطن السوري. وكلها إشعارات تعكس تقصيرا يستلزم معالجته بشكل سريع لرفع المعاناة عن كاهل السوريين.

مصير الجيش السوري

الحديث عن مصير الجيش السوري وموضعه وموقفه في ظل معطيات المشهد السياسي الحالي حديث ذو شجون لأنه من الأمور الشائكة، ويجب أن نعلم أولا عن أي جيش نتحدث هل هو الجيش النظامي الذي لم يحارب وفوجئ بهزيمته أما هيئة تحرير الشام واضطرته الظروف إلى التوجه للعراق بعد أن ألقى بسلاحه، أم القوات المسلحة بهيئة تحرير الشام التي أسقطت نظام الأسد في أيام قلائل بدعم خارجي، أم قوات قسد التي لازالت تحارب في جبهات على الأطراف السورية من أجل تحقيق مطالبها؟! لاشك أنها معضلة كبيرة والحل يكمن في لم الشمل ورأب الصدع بين كل السوريين، ولكن هل يستطيع زعيم هيئة تحرير الشام ذلك؟ ولمن ستكون القيادة وتحت أي لواء تنضوي راية القوات المسلحة السورية وجيوشها وما هي توجهاتها ولمن توجه أسلحتها؟!

تساؤلات كثيرة يفرضها هذا الموضوع على الرغم مما تحاول القيادة السورية الجديدة تصديره للعالم بأنها تعمل على توحيد كل الأطياف السورية.

تزداد صعوبة الأمر في ظل اختلاف المكونات السورية والخلفيات المذهبية والعرقية الكامنة وراء كل فصيل من الفصائل السورية المسلحة. هناك استعداد من البعض للاندماج في الجيش الجديد منهم هيئة تحرير الشام وبعض الفصائل التابعة للجيش الوطني ولكن قوات قسد، قوات سورية الديمقراطية، تظل مختلفة بسبب هيكلتها العسكرية وتوجهاتها السياسية والاستراتيجية »

فهم يشترطون الاحتفاظ بالسلاح كورقة تفاوض لضمان بقاء الأكراد في المشهد السوري ومن ثم تبقى مسألة دمج قسد من المعضلات التي تواجه توحيد الجيش السوري. ويرتبط ذلك بمعضلة أخرى تتعلق بالتوتر الميداني خاصة في منطقة الشمال الشرقي حيث التصعيد بين قسد وتركيا بشكل يزيد الأمور تعقيدا ويدفعهم لرفض التخلي عن السلاح.

كما أن تكوين وزارة دفاع مستقلة ومتناغمة تمثل كل السوريين يواجه بصعوبة التوافق السياسي بين كل الأطياف السورية ويحتاج الأمر لتولي قيادات ذات خبرة واحترافية ومصداقية وثقة من الجميع بعيدا عن الانتماءات المرتبطة بالفصائل.

مخاطر التدخل الخارجي

في النظام السابق كانت إيران على صلة وثيقة بسورية بشكل جعلها موضع اتهام بالتدخل في الشأن السوري، أما اليوم فقد خرجت إيران ودخلت تركيا التي أيدت النظام الجديد قبل مولده وطالبت بإسقاط نظام الأسد بهدوء، وهو موقف ينسجم مع مصالحها ومخططاتها في المنطقة. ولازالت تركيا لاعبا مهما في الأحداث الداخلية السورية خاصة مع دعمها الجيش الوطني السوري ضد قوات سورية الديمقراطية وذلك في إطار تخوفاتها من مشروع الأكراد في الشمال السوري والذي ترى بموجبه تنظيم قسد تهديدا لأمنها باعتباره (بالنسبة لها) امتدادا لحزب العمال الكردستاني المحظور. وهناك من يرى تركيا هي الفائز الأكبر إقليميا من تطور الأوضاع في سورية وفقا لتصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، ولكن يبقى ذلك مرهونا بعلاقتها بالإدارة الأمريكية الجديدة وموقف ترامب من دعم حلفائه في المعارضة السورية، وهناك تفاهمات تركية أمريكية حول التعاطي مع الوضع في سورية بشكل يتيح لتركيا التدخل، ولكن السوريين أنفسهم يرفضون ذلك لأنه ليس في مصلحتهم ويطالبون تركيا أن تسحب أياديها من سورية.

ويبدو أن موقف الغرب من مجريات الأمور في سورية متناغم مع النظام الجديد وأهدافه بدليل تلك اللقاءات السريعة والمقابلات التي قامت بها وفود أوروبية إلى دمشق. وعلى الرغم من حث ترامب الغرب على الانخراط مع دمشق، إلا أن هناك توجسا أوروبيا دفعهم إلى ربط الدعم لسورية باشتراط اعتماد المعايير الأوروبية التي تشمل حقوق الإنسان والنساء بجانب تأسيس دستور جديد متفق عليه من السوريين وتنظيم انتخابات ديمقراطية. كما تواجه الإدارة السورية الحالية معضلة تصنيف هيئة تحرير الشام على قائمة الإرهاب ولكن يتوقع أن تكون مسألة وقت ويرفع عنها هذا التصنيف سيما في ظل الدعم الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية التي قد ترى النظام السوري حليفا لها في

الجيش الإسرائيلي قام بإحتلال مناطق في الداخل السوري

المنطقة بعد الاطمئنان إلى سقوط الأذرع الإيرانية التي كانت أحد محاور المقاومة المهمة ضد الاحتلال الإسرائيلي.

الموقف العربي

على الرغم من تباطؤ رد الفعل العربي في بداية الأمر تجاه الأحداث التي انتهت بهدم نظام الأسد، واكتفت بمراقبة الأوضاع عن بعد، فإن دولا عربية عديدة سارعت وبادرت لفتح صفحة جديدة مع النظام الجديد بسورية للحيلولة دون حدوث تدهور للأوضاع ينعكس على استقرار المنطقة ولاحتواء الوضع قبل انفجاره خاصة في ظل الحروب المشتعلة في لبنان وغزة.

وكان لدول الخليج المبادرة في دعم السوريين والوقوف بجانبهم وعلى رأسهم المملكة العربية السعودية التي كانت المحطة الأولى للجولات الخارجية لوزير الخارجية السوري الجديد في حكومة تسيير الأعمال. كما حرص مجلس التعاون الخليجي على إرسال وفد يحمل رسالة دعم ومساندة. ولكن على جانب آخر، فإن هناك أطرافا عربية لازالت تنظر للوضع في سورية بدرجة من القلق ومنهم الإمارات ومصر التي تنظر لاستقبال سورية لشخصيات مصرية معارضة بعدم الارتياح. ومن ثم فإن هذه البداية قد تكون صادمة ومثيرة للقلاقل بين نظام الجولاني وبعض البلدان العربية. ومن ثم فإن الفترة المقبلة والسياسة العملية للجولاني، أو أحمد الشرع كما يسوق نفسه حاليا، هي التي تبين طبيعة العلاقة بينه وبين المجتمع العربي وهو ما يجعله بين طرفي نقيض ما بين توجهاته الأيديولوجية الإسلاموية وخلفيته الفكرية المتشددة، وبين مصالحه التي تتطلب براجماتية في التعاطي مع مختلف الأطراف مراعاة للمصالح السورية.

من أهم الأسئلة التي تطرح نفسها ولازال الغموض يكتنف إجاباتها ما يتعلق بموقف النظام السوري الجديد من مقاومة الاحتلال الصهيوني بالمنطقة وكيفية مواجهته خاصة في ظل استيلاء الجيش الإسرائيلي على أراض سورية واستمرار ممارسته لهوايته الإجرامية في ابتلاع مزيد من الأراضي العربية.

لقد توغل الجيش الإسرائيلي في ريف القنيطرة جنوب غربي سورية وأقام سواتر ترابية ونقاط عسكرية حول سد المنطرة بجانب دخول مدرعات إسرائيلية إلى مرتفع شارة الحرمون لتقيم نقطة جديدة في السفوح المطلة على ريف دمشق الجنوبي الغربي، بينما لم يصدر أي ردة فعل عن القيادة السورية الجديدة تجاه ذلك.

ولم تكن تلك هي الحادثة الأولى أو الوحيدة، فقد استغل الاحتلال انسحاب قوات الجيش السوري من موقع عسكري بجبل الشيخ في سوريا بعد سقوط الأسد وقاموا بالاستيلاء عليه وأعلن نتنياهو انهيار اتفاق فض الاشتباك عام 1974 وأمر بالاستيلاء على المنطقة العازلة وهي المنطقة الفاصلة بين الجزء المحتل من هضبة الجولان وبين سورية وهي تمتد بطول 75 كيلومترا من الشمال إلى الجنوب وبعرض يتراوح بين 200 متر وعشرة كيلومترات. كما يعمد الاحتلال الصهيوني إلى التوغل لما يقرب من 15 كيلومترا في عمق الأراضي السورية لضمان عدم تمكن المقاومة من إطلاق الصواريخ تجاه هضبة الجولان المحتلة وذلك وفق تصريحات لمسؤولين بدولة الاحتلال.

لاشك أن المستقبل السوري متخم بالعديد من التحديات والمشكلات المزمنة التي تحتاج إلى حلول حاسمة وعاجلة من القيادة الحالية لرفع المعاناة عن الشعب تحقيقا لوعودهم البراقة. ولكن استعادة سورية لأراضيها المغتصبة تظل من أصعب التحديات خاصة في ظل انفراط عقد الجيش النظامي واحتياج الأمر لوقت طويل حتى يتم رأب الصدع الذي حدث بسقوط نظام الأسد من انهيار للجيش وتدمير لمعداته..فهل يسمح لسوريا بتسليحها واستعادة قوة جيشها لاسترداد أراضيها المسلوبة؟

هذا ما تكشف عنه الفترة المقبلة. ■

* كاتبة وصحافية

أيام بمعانٍ متعددة

معن بشور*

لم يحقق «اليوم التالي» لوقف حرب الإبادة على غزة المجاهدة ما كانت تل أبيب تلح الى تحقيقه من هذه الهدنة ، لا سيّما لاثارة انقسامات داخل الصف الفلسطيني او للسماح لقوات غير فلسطينية بالدخول الى غزة باسم مراقبة وقف اطلاق النار.

كما لم يحقق «اليوم التالي» لسريان اتفاق وقف اطلاق النار في لبنان، أي اليوم الـ62 ما كان يطمح اليه نتنياهو بكسر إرادة المقاومة وتكريس صورة خسارتها في حرب الستين يوماً لم يستطع العدو ان يتقدم سوى بضع كيلومترات في الحافة الحدودية للبنان مع فلسطين المحتلة.

لقد كان «اليوم التالي» في غزة يوماً فلسطينياً فقط، لا لأنه أظهر ان حركة حماس وفصائل المقاومة ما زالت بخير، وان الالاف من المقاتلين قد خرجوا الى الشوارع مؤكدين جهوزيتهم لمواجهة كل طارئ فقط ، بل أيضاً لأنه أظهر القيم الأخلاقية والإنسانية، العالية التي تحلى بها المقاومون الفلسطينيون من خلال معاملتهم للاسيرات الاسرائيليات اللواتي خرجن بمظهر معاكس للمظهر الذي خرجت به الاسيرات الفلسطينيات وفي مقدمهم المناضلة وعضو المجلس التشريعي خالدة جرار التي انهكها السجن لسنوات في ظل معاملة تفتقر الى الحد الأدني من الشروط الإنسانية.

لكن الأهم من هذا كله، انه «اليوم التالي» في غزة وفي لبنان قد كشف بوضوح حجم تهافت الأوهام التي حاول نتنياهو وحلفاؤه والمراهنون عليه للايحاء بأن حماس والمقاومة في غزة قد هزموا وخسروا 80% من قواهم وأن حزب الله قد أصيب بمقتل في هذه الحرب لا سيمّا وان خسائره القيادية والعسكرية والعمرانية لم تكن قليلة...

وكما كانت تل أبيب ومعها الداعمون والحلفاء والمراهنون عليهم في مطقتنا تبني أوهامها بالنصر احلاماً استفاقت على جملة حقائق أولها أن المقاومة لا نهزم، وان إرادة المقاومة في امتنا لا تنكسر ، وأن المثل الصيني المعروف متل صحيح حين يقول «الضربة التي لا تميتني تزيدني قوة»، بل ان الخسائر التي اصابتهم هي خسائر في التكتيك والعمليات وليس أخطاء في الرؤية والتقدير الاستراتيجي، ولعل ابرز الخطايا كان تعنت الصهاينة بالاصرار على تمديد مهلة الستين يوما، متجاهلة ماذا يمكن ان يكون الرد اللبناني، عليها شعباً وجيشاً ومقاومة، بهذه القوة، وبهذه السرعة، بهذه الشجاعة التي يكفي ان يرى العالم كله صورة تلك المرأة الجنوبية تفتح ذراعيها أمام دبابات العدو وتقول لهم «اطلقوا النار» مرددة ما قاله كثيرون غيرها: «إن ارواحنا ليست أغلى من روح شهيد الامة سماحة السيد حسن نصر الله».

لكن الخطيئة الأكبر التي تعبر عن انفصال كبير عن واقع شعبنا في فلسطين ولبنان وكل الأقطار العربية ، فهي اتصالات الرئيس ترامب في بداية ولايته بالحكام العرب، لا سيّما في الأردن ومصر مقترحاً عليهم استقبال أهل غزة الذي «يرغبون» بالهجرة منها ليجد رداً حاسماً وصارماً من المسؤولين في العواصم العربية ومن القيادات الفلسطينية، ومن أهل غزة أنفسهم الذين بدلاً من التوجه جنوباً نحو سيناء أصروا على التوجه شمالاً حيث خاض المقاومون أشرس وأعظم المعارك التي قلّما شهدها الصراع العربي ـ الصهيوني من قبل.

لم نقول للقيمين على الأمور في تل أبيب ، وواشنطن وغيرها من عواصم الغرب كفى حروباً، كفى قتلاً، كفى مجازر فقط، بل نقول لهم كفى أخطاء وخطايا وسوء فهم وتقدير لأمة لم يتوقف أبناؤها على مدى مئتي عام عن النضال والمقاومة ضد الغزاة والمستعمرين.

□■□

من حقنا دائما ان نردّد أن «فلسطين» قضية عالمية

■ من حق شعبنا الفلسطيني في الداخل والشتات بل من واجبه ان يمارس ضغطاً قوياً على قياداته من اجل قيام وحدة وطنية متينة على قاعدة التكامل بين الفعل المقاوم والعمل السياسي ، وعلى قاعدة الادراك ان عدونا لا يفهم سوى لغة القوة..

ومن حقنا، بل من واجبنا، في بيروت وضاحيتها الجنوبية والجنوب اللبناني والبقاع ، وكل لبنان ، ان نكون اول المبتهجين باتفاق وقف حرب الابادة في غزة لأننا في لبنان اول من شارك الاشقاء في «ملحمة طوفان الاقصى» بالدم والشهداء والجرحى ، وبما تحملوه من دمار وخراب جعلت من رئيس حركة حماس في غزة المجاهد الكبير خليل الحيّة يذكر لبنان ومقاومته كاول من يذكره، في «اعلان النصر» امس من الدوحة، شاكرا مساندتهم اهل غزة وفلسطين في مواجهتهم التاريخية مع العدو ، ومحييّا الآلاف من الشهداء والجرحى اللبنانيين في تلك المواجهة ، وفي مقدمهم سماحة امين عام حزب الله شهيد الامة سماحة السيد حسن نصر الله رحمه الله.

بل من الطبيعي ان تمتلىء شوارع بيروت وطرابلس وصيدا والعديد من المدن والبلدات اللبنانية الاخرى وساحاتها ومخيماتها بالمسيرات والاحتفالات وهم يرون حلماً عمره عقود يتحقق، وهو حلم الحاق الهزيمة بعدو يمتلك قدرات تفوق قدراتنا بكثير كما يحظى بدعم غير مسبوق ، من دول كبرى في مقدمها الادارة الاميركية.

ومن حق قوى التحرر والمقاومة في بلادنا ،بل من واجبها، ان تستمد من هذا الانتصار التاريخي في غزة، كما من الانتصار الذي انتزعه ابطال المقاومة اللبنانية ، ثقة كبرى بقدرة الامة على ان تنتصر بقوة الارادة على من يظن انه بتفوقه في العدّة والعتاد والدعم قادر على كسر ارادة شعوب محصنة بايمان غير محدود وعزيمة لا تلين..

ومن حق القوى الحية في الامة، بل من واجبها، ان تناضل من اجل ترتيب البيت العربي ،لرسمي والشعبي،بما يجعل صوت الامة، بقدراتها الهائلة، مسموعا ومؤثرا في عالم لا يعرف سوى لغة القوة، وبما يجعل من حركة الشعب العربي حركة فاعلة ومنتصرة لحقوق الامة.

ومن حق قوى التحرر في العالم ، بل من واجبها، ان تتصرف ان موازين القوى في العالم بدأت تميل لصالح الشعوب التي تنتصر للحرية والعدالة والكرامة ، وان هذا الميل يزداد بمقدار ما يشتد نضالهم و يسعون لاطلاق جبهة عالمية من القوى المناهضة للهيمنة الاستعمارية والعنصرية الصهيونية.

وأخيراً من حق قادة معركة الوعي في الامة ان يستخرجوا من هذا الانتصار على قوى الظلم والظلام، السبل الثقافية والفكرية الضرورية لمحاصرة دعاة التيئيس و الانهزام والاستسلام الذين طالما استغلوا ما اصاب امتنا من نكسات وضربات موجعة كاسلحة لتشويه وعينا ولجعل «الخيانة وجهة نظر».

من حقنا دائما ان نردّد ان «فلسطين» قضية عالمية.

* الامين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

العالم العربي في عام

التحولات المفاجئة والأحداث الدموية الصادمة

لندن: أمين الغفاري*

حين نقف في بداية العام الجديد 2025، ونتطلع الى الوراء عبر الشهور التي مضت ، وكونت مساحة تلك الفترة من الزمن التي نطلق عليها عام 2024 ونحاول ان نتعرف على نسبة ماحققته شعوبنا من عوامل الاستقرار والبناء، مقابل ماتم خصمه من ماتم انجازه من قبل بالنسبة لتلك العوامل نفسها ، عبر سنوات كفاحنا وجهادنا من اجل حياة افضل، و بحثنا عن واقع أكثر أملا في مستقبل واعد. نجد للأسف ان الحسابات النهائيه لتلك المساحة من الزمن قد كشفت لنا عن وقائع مرة،واحداث مؤلمة، جرت في أغلبها في اطار قوالب مأساويه ودمويه لشعوب كانت كل تطلعاتها هي الحرية والأمان ،ولم تجد في النهاية سوى ان الميزان في احكامه الختاميه كانت الكفة الأرجح فيه تميل الى تفوق عوامل القوة والبطش، على عناصر طلب السلام والأمان، بل والأمعان في السطو المسلح، على تحكيم شعارات حقوق الأنسان ومعايير التقدم الحضاري والتنميه والعمران. كانت سطوة العنف ،وحمامات الدم، والهدم والتخريب وسحق معاني العدالة وامتهان انسانية الانسان لها الغلبة والتفوق في مواجهة الأحتكام للشرعية، وسلطة القانون. كانت قوى البطش، التي لا تحركها سوى التطلعات الأستعماريه، لها على الدوام الغلبة، وكانت هي اليد العليا في كل ماجرى، سواء عبر العام المنصرم، أونهايات العام الذي سبقه وهو عام 2023 .

القضايا المطروحه على الساحة العربية:

- اولا: الصراع على الارض السودانيه بين الجيش وحركة الدعم السريع
- ثانيا: الحرب الاسرائيلية على غزة
- ثالثا: الحرب اللبنانيه مع اسرائيل
- رابعا: الملاحه في البحر الاحمر أوحرب الحوثيين مع اسرائيل ومن يدعمها من دول الغرب
- خامسا: الأحداث السوريه واستيلاء هيئة تحرير الشام على الحكم، والأثر الغريب للصدى العالمي

اذا تناولنا تلك القضايا في اطار هذا التسلسل ،نجد انها قضايا لم تتولد وتتنامي بفعل عوامل مجهولة وانما وفق قواعد معروفه عايشناها بدايةونهاية، و كان القصور العربي احد الاركان الهامه ،سواء في تواجدها من حيث المنشأ، أو في استطرادها من حيث النتائج .

أولاً: حول السودان

أزمة السودان لم تولد اليوم ،وانما تمتد جذورها الى يوم استقلال السودان ،وقد تعاقبت على حكمه تيارات سياسية متعددة منها المدنيه، ومنها ايضا العسكريه. وقد وصل الحال بينهما الى اشبه ما يكون نظام التسليم والتسلم، فكلاهما له حقبه من الزمن، ويتم بعضها بتعاون بين الطرفين، كما حدث مع ابراهيم عبود وما تردد من ان تقدمه للأستيلاء على الحكم كان بايحاء من عبدالله خليل احد اقطاب حزب الأمه وسكرتيره العام ،نظرا للضغط الجماهيري على الحزب للعمل على انجاز عملية الوحده مع مصر، ثم البشير ومساندة المؤتمر الوطني له بزعامة حسن الترابي وايضا تيارات مدنية أخرى ابتداء من اسماعيل الأزهري والحزب الاتحادي الديموقراطي الى حزب الأمة كالصادق المهدي،ودون الدخول في التفاصيل وصل الأمر الى تربع (البشير) على الحكم،وهو اول رئيس للسلطه توجه اليه اتهامات بارتكاب جرائم حرب واباده جماعيه، وفي عهده فصل الجنوب عن الشمال وفقد السودان نتيجة لذلك ثلث سكانه واراضيه وما يربو على 85% من صادراته الخارجيه، وفي مقدمتها البترول. اذا تطرقنا الى احداث 2023 فان جوهر الخلاف بين البرهان ممثلا للجيش وقوات الدعم السريع التي شكلها البشير، لتكون عونا له، اذا تمرد الجيش عليه، وقد تطور الحال بها، فتطلعت الى الانفراد بالسلطه وتنحية الجيش. ان اكبر الخطايا التي يمكن ان يرتكبها نظام حكم ،هو ان يسمح بتشكيل عسكري مواز للجيش، تحت اي مزاعم، أو اسماء، كالدعم السريع، أوالحرس الوطني، أو الجيش الشعبي، وما الى تلك المسميات التي تجعل من الشعب، رهينة لتلك القوات حين تتنازع السلطه بعيدا عن المؤسسات الدستوريه والشعبيه. اندلعت الحرب السودانيه في 15 من شهر أبريل 2023 بين القوات المسلحه وقوات الدعم السريع العسكرية، اللذين كانا فصيلين متعاونين وأصبحا متنافسين لحكومة السودان العسكرية. حتى شهر ديسمبر الماضي، قتل ما بين 9000 و10 آلاف مواطن وتعرض 12 ألف مواطن آخر لإصابات ونزح نحو الداخل حوالي 5.6 مليون مواطن ،وقد جرى كل ذلك سواء عبر العام الماضي أونهايات العام الأسبق 2023 . ولازال القتال دائرا من خلال دعم دول خارجيه سواء كانت عربيه أو أجنبيه، ولا تلوح في الأفق المنظور نهاية قريبه لعذابات الشعب السوداني، وهو مايسجل في حجم الخسائر بامتياز ولابد ان يوضع في الاعتبار ان الجيش له الشرعيه في مواجهة الدعم السريع ،على ان يكون من واجب الجيش اجراء انتخابات تسلم بعدها السلطه لحكومة منتخبه.

ثانياً: الحرب على غزة

كانت الحرب الأسرائيليه على غزة،هي الحرب الأطول في تاريخ الصراع العربي - الاسرائيلي،وقد نتجت عن (طوفان الأقصي) التي شنتها حركة حماس على اسرائيل فجر السابع من اكتوبر 2023 وهي (كما شهد بذلك الأمين العام للأمم المتحده انطونيو غوتيريش لم تكن من فراغ) وانما كانت

نتيجة معاناه من كل نوع لاقاها الفلسطينيون من اسرائيل وتطلعاتها وممارساتها سواء في استيلائها على الأرض وتوسعاتها التي لاتتوقف ،أو ممارساتها العدوانيه في القتل والتدمير، وهناك من يفرد لها حسابا آخر بانتقاد حماس وتحميلها كل المسؤوليه عن حجم الدمار الذي لحق بغزة وحجم الشهداء، والموت قصفا واغتيالا وجوعا وعطشا، الذي ألم بالفلسطينيين، بصرف النظر عما حققته من مكاسب في فضح اسرائيل وسياساتها، والقاء الضوء بكثافة على قضية فلسطين برمتها اصولها وجذورها ومقاضاة اسرائيل امام محكمة دوليه، ولكن من جانب آخر يمكن الحكم على النتائج في اطار قاعدة عامة وهي أن الأنتصار السياسي (بأجنحته الاعلاميه والفكريه والقانونيه) يفوق بمراحل اي خسائر منظوره وتضحيات معلومه اللهمّ الا اذا كانت مفاهيم الكفاح والنضال وحرية الأوطان مفاهيما مغلوطه ،وتحتاج الى مراجعه وتدقيق ، ولذلك يمكن رصدها في اطار المكاسب رغم فصولها المأساوية .تبدو في الأفق الآن محاولات لأبرام صفقة تحقق وقف اطلاق النار ،ولابد من العودة بعدها الى خط الدفاع الأول عن شعب فلسطين وهو الوحدة الوطنيه والألتزام بقواعدها وان تكون هناك سلطة واحده للقرار الفلسطيني ،وقيادة واحده للعمل الوطني.

ثالثاً: الحرب اللبنانية مع اسرائيل

دون الدخول الى دهاليز السياسة اللبنانيه، وتوجهاتها، فذلك امر يعود الى شعب لبنان وقادته، ولكن يمكن الدخول الى ساحة الرأي والديموقراطيه، وسندها حرية الحوار والسلطة الواحده للقرار. ان دخول حزب الله في لبنان الى ساحة الأشتباك مع اسرائيل مساندة لحماس في تصديها للعدوان الوحشى الاسرائيلي يمكن ان يثمن دواعيه القومية، ولا اقول فقط الأيدولوجيه . وقد خسر حزب الله في هذا الأشتباك الكثير من قياداته من الصف الاول والثاني في التفجيرات التي اصابتهم جراء الأجهزة الملغومة، ثم اغتيال قائده الأول والثاني لاحقا، وفي حسابات المكسب والخسارة لابد ان يوضع ذلك في التقدير النهائي، وان كان الحزب بقواته قد ابلي بلاء جيدا في معاركه، ونتمنى للبنان في قياداته الجديده واولهم بالتأكيد الرئيس جوزيف عون ورئيس الوزراء نواف سلام التوفيق في المواءمات وعدم الاقصاء، لأي طرف من القوى الوطنيه للبنان، والقاضي سلام رجل له سمعة دولية كبيره، ولبنان في حاجة الى جهد كبير فى دعم وحدة الصف ،وتوحيد الكلمه من اجل تحقيق اهداف الأصلاح والتنميه وقد كان لبنان عبر التاريخ هو الحاضنه الرئيسيه للتنوع في الأراء وانفتاح الحوار، وصيانة الحريات، وبمعنى محدد كان لبنان واحة للرأي والراي الآخر. ولاشك انه بعد المعارك مع اسرائيل أصبح اول واجباته العمل على وحدة الصف واعادة البناء، على قواعد احترام الراى والرأي الآخر.

رابعاً: الملاحه في البحر الاحمر

قام الحوثيون في اطار العنف الاسرائيلي على غزه باستهداف الأراضي الأسرائيليه ،وكذلك السفن المتجهه الى اسرائيل وقد استطاعت ان تحقق بعض النجاحات، وقد قامت اسرائيل من جانبها بالرد على هذه الهجمات ثم سرعان ماتطور الأمر حين شاركت القوات الجويه الأمريكيه ومعها بعض الدول الأوروبية في مساندة اسرائيل واستهدفت بعض المواقع العسكريه في اليمن. وقد يكون ذلك الاجراء الذي قام به الحوثيون يشكل قدرا من المؤازرة للفلسطينيين، ولكن لابد من الأقرار ايضا ان الحوثيين ليسوا اصحاب القرار الأول في الشأن اليمني ومواقفه السياسية والقتاليه. ان الجنوح للتفرد في القرار بعيدا عن الشرعيه، غير مبرر، ولا ينبغي الأنحياز اليه مهما كان حجم رهانه وغيرته. ومهما دغدغ مشاعرنا، وروي عطشنا ،فوحدة اليمن وشرعية قراره ،لا تعلوها اي مصالح، وابقي لليمن ولشعبه. اليمن بحكومته الدستوريه وشرعية قراره ينبغي ان يكون دائما سيد الموقف في قراره

خامسا:الأحداث السوريه واستيلاء هيئة تحرير الشام على الحكم

لعل ما حدث في سوريا يمكن ان يطلق عليه (تسونامي) وهو تعبير يطلق على مجموعة من الأمواج العملاقه تنطلق في لحظة من الزمان فتعصف وتدمر، وتترتب عليها قضايا ومشاكل متعددة. أنه. كناية عن كونه اشبه بزلزال مروع في اطاره السياسي، ان يخرج تنظيم كان جزءا من تنظيم القاعده ،ثم انشق عنه والتحق بداعش ثم انشق عنها،واتخذ اسم (تنظيم النصره) ثم غيره الى اسم (هيئة تحرير الشام)، ويتحرك التنظيم ليستولى على مقاليد الحكم في سوريا، ودون اي مقاومة عسكريه أو شعبيه ثم والأغرب ان يحصل على دعم امريكي واوروبي واقليمي وعربي زاحف ،حتى وان شابه ذلك الدعم قدر من التحفظ في انتظار الافعال وليس الأقوال، ذلك امر بالتأكيد له ما بعده ،قدر مايحقق من نتائج ويبرهن من أفعال. نعود للعراق ونستلهم الحكمة من احداثه، لقد اصدر الحاكم الأمريكي للعراق بعد الاحتلال (بريمر) قرارين وهما 1- حل الجيش العراقي. 2 - اجتثاث حزب البعث . واصدر السيد (احمد الشرع) حاكم سوريا الجديد نفس القرارين 1- حل الجيش السوري 2 - اجتثاث حزب البعث. وهو امر تندهش له الى ابعد الحدود في هذا التوافق بين قرارين. احدهما استعماري واضح المعالم، وقرار آخر من المفترض ،ووفق الترحيب الذي يلاقيه السيد احمد الشرع من حكومة لها وزن شعبي وخارجي ولكنه نصا مثل قرار تعرفنا على نتائجه من خلال تجربة مرئيه. انك بصدد حكومة (تحرر) وتصدر مثل تلك القرارات الصادمه. ان الجيوش تمثل قلاعا لحماية الشعوب خارجيا وايضا داخليا في الأزمات الطاحنه ،حتى وان جنحت بعض قياداتها للأنقلابات مثل ماحدث في امريكا الجنوبيه أو في سوريا ايام حسني الزعيم وسامي الحناوي والشيشكلي وعبدالكريم النحلاوي . لكن ذلك هو (الأستثناء الذي لايقبل التعامل معه باعتباره القاعده) وحل الجيش العراقي نتجت عنه كل الكوارث التي لحقت بالعراق ومازالت تعمل عملها به. ثم ان حزب البعث ليس تشكيلا عسكريا وليست له ميليشيات عسكريه ، ولم يرتكب عبر تاريخه عملية اغتيال واحده . تاريخه لم يلوث بالدم ،وقد تختلف معه ولكن الحوار هو أداته وليس السلاح.

يبقى لنا ان نقول رغم تعدد الأحداث في العام الماضي واهميتها الا ان حدثين سيظل لهما ما بعدهما :

الاول من السابع من اكتوبر عام 2023 كان التسونامي الأول وستظل تداعياته قائمه ومحتمله لسنوات قادمة وتطورات القضية الفلسطينيه التي (رغم مرارة ما قاساه الفلسطينيون) سوف تشهد تطورات لاحقه ،تزيد من جذوتها ووضوح معالمها على نحو أكثر اتساعا في العالم ،فهي قضية لا تموت ،وتظل تتفاعل على نحو كاشف يمهد لها دائما ارضا جديده. الثاني رغم مفاجأة حدوثه ،الا ان وقعه أكثر دراميه من اتفاقية كامب ديفيد التي دفع العالم العربي والفلسطينيون ضرائبها الباهظة، الا ان وثوب (هيئة تحرير الشام) رغم ماضيها ومفردات عناصرها على الحكم يمثل حدثا أكثر خطورة واهميه من كامب ديفيد .وقرارات (حل الجيش السوري، وعدم التجنيد الأجباري على المواطنين يمثل حدثا له دلالته في ان تتفرد المنظمات (الجهاديه) بعناصر القوة ، في مواجهة الضغوط الداخليه. واجتثاث (حزب البعث) دلالته المباشره هي مطاردة الفكر (القومي) فهل يمكن لأمة ان تتخلى عن هويتها .لاسيما ان كلمة العروبه لم تأت على لسان السيد (احمد الشرع) ولا مرة واحده . كلها تحليلات ورؤي سوف تزداد ابعادها وضوحا سواء سلبا او ايجابا .

وعلينا وسط كل تلك الأحداث والأحتمالات ان نظل أكثر تفاؤلا ،ولكن بعين مفتوحه ،وبصيرة تتابع. ■

*كاتب وصحافي مصري

عبدالملك الحوثي
على الدوام الشرعيه سند البطوله

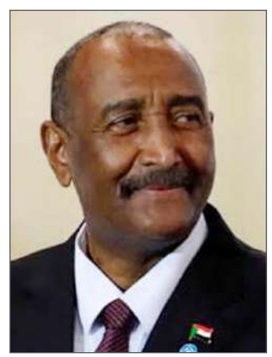

عبدالفتاح البرهان
نتمنى وندعو للشرعية ان تنتصر

يحيي السنوار
بطل سوف تظل صورته تملأ الخيال

بنيامين نتنياهو
لا يمكنه ان يعاند حركة التاريخ

تضم أكبر عدد من المعاقين ومبتوري الأطراف في العالم

إبادة غزة.. العالم على مقعد المتفرجين!

فلسطين: أكرم عطاالله

أن تعتاد على الحرب تلك أقسى أنواع الحياة وأشدها فداحة.. أن تتعايش بين الجدران المهدمة وأصوات القنابل التي لا تتوقف وأن ترى الجثث المتفحمة وتذهب لتناول وجبتك هذا ليس أمراً عادياً ، وأن تحصل على تلك الوجبة بعد معاناة شديدة وسط جريمة التجويع التي تمارسها اسرائيل ضد الشعب في غزة وأن تبحث بين مؤسسات إنسانية لعلّك تعود لأبنائك بشيء يطفئ نار الجوع المستعرة في الأجساد التي أعياها التعب والخوف وهي تهرب من مكان لآخر بين القصف والدمار.

أن يموت أبناؤك من البرد في خيمة نصبتها في العراء فتلك ذروة المأساة التي تتجسد فالصقيع في غزة في هذا الوقت من العام شديد القسوة وأصعب من أن يحتمله الكبار فكيف بالأطفال الذين تساقطوا؟ لقد استشهد الطبيب الفلسطيني أحمد الزهارنة الشهر الماضي والذي يعمل ضمن الطاقم الطبي للمستشفى الأوروبي وقد وجدوه في خيمته بخانيونس متجمداً جراء البرد الشديد ووصل للمستشفى جسداً أزرق وبدل أن يستقبل مرضاه استقبله زملاؤه جسداً أما الأطفال الذين نخر البرد عظامهم مات منهم سبعة قبل دخول العام الجديد وقبل دخول البرد الحقيقي .

وفقاً للتراث الفلسطيني هناك ما يسمونها بأربعينية الشتاء والمقصود بها الأربعين يوماً الأشد برودة في فلسطين وتبدأ في الخامس والعشرين من كانون أول ديسمبر وتنتهي في الخامس من شباط فبراير ففي الوضع الطبيعي تتحول البيوت غير المصممة للمناخات الباردة بفعل موقع غزة كمدينة ساحلية وصيفها حار لا يتطلب احتياطات استثنائية لمواجهة الطقس تتحول إلى كتلة من الجليد في أربعينية الشتاء يعمل سكان غزة جاهدين على تمرير تلك الأسابيع الأصعب في العام وإذا كانت البيوت تعلن استنفارها فما بالنا في الخيام وخاصة الخيام البالية المتهرئة التي صنعتها أغلبية الناس مما تيسر من قماش ليس مصمماً للمطر والبرد فالقليل من الخيام المخصصة وصلت غزة كمساعدات ولكن ما وصل لا يغطي حاجة إيواء ما يقرب من مليوني فلسطيني وجدوا أنفسهم نازحين بلا منازل فكل سكان رفح وبيت حانون وبيت لاهيا ومخيم جباليا قد تم مسح مناطقهم ومنازلهم ناهيك عن تدمير الجزء الأكبر لمدينة غزة وضواحيها ومثلها كذلك خانيونس وأقل من ذلك المنطقة الوسطى التي تضم مدينة دير البلح ومخيمات البريج والمغازي والنصيرات والتي لم تجتاحها اسرائيل برياً لكنها لم تفلت من القصف المتواصل والدماروالذي جعل أيضاً جزء من سكانها في الخيام. حيث الحرب الأكثر عدوانية والتي ليست حرب بمعناها الدقيق إذ جرى توصيفها بالإبادة وهي أكثر دقة في توصيف ما جرى بغزة ففي كل الحروب يكون هناك متسع للمدنيين للهروب من وسط المعارك لكن قطاع غزة المحاصر والمغلق من جهاته الأربع لم يترك للناس حتى خيار الهرب فقبل الحرب كانت اسرائيل تحاصر القطاع إذ تحده من الجهتين الشرقية والشمالية ومن الغرب البحر حيث البوارج العسكرية تحتل بحر غزة وكان الصيادون يجدون متسعاً للصيد وهذا كان جزء هاماً من السلة الغذائية للغزيين لكن غزة تحدها من الجنوب مصر ومعبر رفح شبه المغلق لكنه كان يوفر متسعاً للسفر وإن كان بالحد الأدنى ففي السادس من مايو الماضي قام الجيش الإسرائيلي بإحتلال رفح المدينة الجنوبية المحاذية للحدود المصرية ليكتمل حصارها للقطاع بل وقامت برصف طريق جانب الحدود أطلقت عليه «محور فيلادلفيا» وقامت بإنشاء قواعد عسكرية على الطريق

في هذه الإبادة كانت الناس تنتقل هاربة بين القذائف والرصاص من منطقة لاخرى حين تجتاح اسرائيل منطقة يهربون منها وما أن يخرج منها الجيش يعودون وقد يفعلها أكثر من مرة كما حدث في مخيم جباليا ليجد المواطنون بيوتهم قد تحولت إلى أطنان من الركام بلغت حتى الآن 60 مليون طن وقد كنا نشرنا في عدد سابق أنه بلغ حتى نهاية أغسطس الماضي 43 مليون طن والإشارة إلى استحالة التصرف به سواء لسعة غزة التي لا يوجد بها مكان للتخلص من تلك الأطنان حيث تتطلب مساحة ضخمة فكل مساحة قطاع غزة تبلغ 365 كيلو متر مربع وعدم القدرة على إلقائه في البحر لإحتوائه على مواد سامة بفعل الذخائر والنتيجة إعدام مستقبل غزة وعدم إمكانية إعمارها .

أن تعتاد الناس في غزة على الحرب فهذا ليس عادياً فقد أحدث هذا السعار الإسرائيلي الذي انطلق بكل ما يملك من جنون قدراً كبيراً من التشوهات النفسية التي سترافق الغزيين لسنوات طويلة وقد تحتاج إلى برامج علاجية من المبكر الحديث عنها أمام فداحة الخسارات البشرية والجسدية فناهيك عن عدد من قتلتهم اسرائيل بعشرات الآلاف «أكثر من 45 ألف» وأكثر من عشرة آلاف بين الأنقاض «الرقم توقف منذ أشهر عند الآلاف العشرة ممن هم بين الأنقاض لكن تشير التقديرات أن الأمر يتجاوز هذا الرقم بكثير» فالكارثة الأكبر في التشوهات الجسدية التي سترافق البشر .

هل يتصور أحد أن أحد أساسيات إعادة الإعمار في غزة هندسياً فيما لو قدر إعمارها أنه ينبغي توفير شوارع لعربات المعاقين؟ طبعاً هذا غير موجود سابقاً في غزة ولكن الأمر أصبح الآن مختلفاً فقد أصبحت غزة تضم أكبر عدد من المعاقين ومبتوري الأطراف في العالم قياساً بعدد السكان وهو ما أعلنه الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيرش في مؤتمر عقد في القاهرة عقد لبحث تسريع إيصال المساعدات الإنسانية لغزة في الثاني من ديسمبر الماضي وألقتها نيابة عنه مساعدته أمينة محمد ليعلن عن كارثية الوضع في القطاع وكشف في كلمته أن «قطاع غزة بات يضم أكبر عدد من مبتوري الأطراف في العالم» وإضاف غوتيرش في كلمته «في غزة يخسر العديدون أطرافاً ويخضعون لعمليات جراحية بدون مخدر» وتلك مأساة أخرى وردت في كثير من تقارير وزارة الصحة الفلسطينية بغزة عن إجراء عمليات بلا مخدر مع كل الألم المصاحب لها ولكن الأهم أن يبقى الإنسان وخصوصاً الطفل مشوهاً فاقداً لطرف أو أطراف عالة على مجتمعه غير قادر على الإنتاج والإندماج في المجتمع لدرجة بات الكثيرون يغبطون من استشهدوا في بدايات الحرب ولم يعيشوا مشوهين ولم يروا كل تلك الفظاعات .

نقص المعدات الطبية كان فادحاً حيث منعت اسرائيل دخولها ما تسبب بموت الكثير لكن الأكثر مأساوية ضرب سيارات الإسعاف ونقل المصابين للمستشفيات فما حدث الشهر الماضي في المنطقة الشمالية بقطاع غزة وحرق مستشفى كمال عدوان وإعتقال طاقمه الطبي وعلى رأسهم الطبيب المعروف الدكتور حسام أبو صفية أثناء قيام جيش اسرائيل بتطبيق خطة الجنرالات القاضية بتفريغ وطرد السكان من الشمال في تطهير عرقي لم تخجل اسرائيل من الإعلان عنه وسط صمت العالم الحر وغير الحر فقد عمدت اسرائيل قبلها إلى ضرب طواقم المسعفين ومركباتهم ليحدث أسوأ ما تصوره الفلسطينيون أن يستمر الجرحى في النزيف لساعات طويلة قبل أن يموتوا هل يتصور أحد تلك الوحشية؟ هذا حصل وبالمئات في الأسابيع الأخيرة حيث كانت تمتلئ الطرق بالمصابين وبالجثث وفي مشهد الأشد بؤساً وسطوة على الذاكرة كانت الكلاب الضالة تتغذى على تلك الجثث وقد تم تصوير تلك المشاهد ونقلتها كبرى وسائل الإعلام والفضائيات .

التدمير الممنهج والإزالة الكبيرة لمخيم جباليا وهو أكبر مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الداخل والخارج «عدد سكانه 116 ألف نسمة» لم يكن مصادفة فقد قال جنود اسرائيليون شاركوا في تدمير المخيم أن صورته تبدو «كأنه تعرض لزلزال بقوة مائة ريختر» وقد نشرت وسائل الإعلام كيف تحول المخيم إلى ركام بكل بيوته وأسواقه ومدارسه كان ذلك بهدف منع عودة السكان ومنع الحياة مستقبلاً في هذا المكان ولإسرائيل قصة طويلة مع هذا المخيم فهو المكان الذي انطلقت منه الإنتفاضة الأولى عام 1987 ومنه أيضاً ألقى الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات خطاب انتفاضة النفق عام 1996 لذا لم يكن من المصادفة أن يكون أول مكان يزوره بعد عودته من المنفى .

«هل نحن وحوش هل ذهبنا بعيداً جداً؟» هكذا سأل وينستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا في الحرب العالمية الثانية عندما كان على وشك إعطاء الأوامر بقصف المناطق المدنية في ألمانيا والآن ماذا عن قادة اسرائيل ؟ الذين أعطوا تعليمات لجنودهم بتدمير كل شيء وإزالة كل قيود وإزالة أية حدود حمراء لا يتعلق الأمر هنا فقط بالإبادة الجماعية كما جاء في الدعوى التي رفعتها جنوب أفريقيا للمحكمة الدولية بقدر ما أن الامر يتعلق بالقتل الشرعي والتدمير الشامل للمنظومة القانونية في العالم والتدمير الشامل للحياة الأخلاقية للمشاركين في الإبادة والذين كانت تظهر عليهم نشوة الإنتقام حين كانوا يقومون بتوثيق الأعمال المروعة ونشرها من خلال هواتفهم الخاصة وبعضهم على صفحات تواصلهم الإجتماعي قبل أن يصبح بعضهم مطلوباً للقضاء ما يحد من سفرهم ليعمم الجيش تحذيره لهم قبل أن تتراجع الظاهرة والتي كانت تعكس انهياراً أخلاقياً لا مثيل له إلا لدى المصابين بسادية جمعية تطرح ما حدث بغزة كثير من علامات الإستفهام حول شهوة القتل بهذا الشكل.

تعلن هيئة البث الإسرائيلية في خبر عابر نقلاً عن سجناء فلسطينيين حول إهانات متكررة مثل البصق عليهم وإجبارهم على الوقوف لساعات وتعريتهم هذا الأمر لم يكن يحتاج إلى تحقيق وسائل إعلام بل أن السادية الإسرائيلية كانت تصور طوابير من الناس مجردين من ملابسهم وقد تحدثت شهادات من تم اعتقالهم من مستشفى كمال عدوان أن جيش اسرائيل كان يضرب الأسرى الذين تم تجميعهم عند مدرسة الفاخورة يضربهم بكوابل كهربائية مؤلمة بمن فيهم الطاقم الطبي ورئيس المستشفى الدكتور حسام أبو صفية هذا قبل أن يتم إرسالهم للسجون أما ما يحدث هناك فهو أشد إرهاباً تعذيب حد القتل فقد بلغ عدد الذين قتلتهم اسرائيل في السجون منذ السابع من أكتوبر 54 أسيراً فلسطينياً بحسب بيان مشترك لنادي الأسير وهيئة شئون الأسرى بمناسبة يوم الشهيد الفلسطيني كان من بينهم الطبيب عدنان البرش الذي أعلن عن استشهاده في أبريل نيسان الماضي .

وإذا كانت السادية والتشوه قد بلغ هذا الحد لدى اسرائيل يعود السؤال الكبير الذي يتكرر منذ بداية الحرب أين العالم ومواثيقه وأعرافه واتفاقياته التي تمت صياغتها من أجل الحد من الجانب المظلم في غريزة القتل وشهوتها ؟ يبدو أن الأمر يخص عالماً قد كتب اتفاقياته ومواثيقه بعد الحرب العالمية الثانية لحماية أوروبا والجنس الأبيض أما تلك فلا تنطبق على الشعوب الفقيرة وسمراء البشرة ... تلك رواية سيكتبها التاريخ أنه تمت إبادة منطقة جماعياً وكان العالم الحر يجلس على مقاعد المتفرجين ...هي كذلك.

الشرع يعقد اجتماعاً مع رجال الأعمال والصناعيين من مدينتي حلب وإدلب

العقوبات سيف مسلط على التعافي وانفتاح البلاد على العالم

سوريا تتطلع إلى «لم شمل» اقتصادها المحطم

كتب المحرر الإقتصادي:

سنوات طويلة من الصراع، دمرت اقتصاد سوريا وقطاعاتها كافة ودفنت أحلام وآمال الشباب بمستقبل مزهر. واليوم، بعد إسقاط نظام بشار الأسد من قبل فصائل المعارضة وتسلم القائد العام للإدارة الجديدة أحمد الشرع إدارة البلاد، لا أحد يملك بعد رقماً نهائياً عن حجم الأضرار المباشرة وغير المباشرة وتكلفة إعادة الإعمار فيما التقديرات تتراوح بين 250 و300 مليار دولار – حتى أن البعض تحدث عن مبلغ 400 مليار دولار. علماً بأن عملية التقييم بدأت من قبل المنظمات والهيئات الأممية فور سقوط نظام بشار الأسد.

عندما بدأت الحرب في عام 2011، كانت سوريا تسير على مسار اقتصادي صحي نسبياً. فقد كان معدل البطالة يبلغ نحو ثمانية في المئة، وكانت الطبقة المتوسطة تشكل نحو 60 في المائة من السكان.

ولكن ما يقرب من 14 عاماً من الحرب الأهلية الوحشية، تركت حوالي 90في المئة من سكان سوريا في فقر بكافة أشكاله. فيما شهدت الركيزتان الأساسيتان للاقتصاد السوري، أي النفط والزراعة، تدميراً ممنهجاً انعكستا على الاقتصاد بمجمله. فالنفط كان يشكل قبل الحرب ثلثي صادرات سوريا، فيما كانت الزراعة شكلت ما يقرب من ربع النشاط الاقتصادي. وباتت معظم آبار النفط والغاز والأراضي الزراعية والبنية التحتية بالإضافة إلى الطرق وشبكات الكهرباء في حالة دمار شامل.

أما ناتجها المحلي فانكمش بحوالي 85 في المئة بين 2010 و2024 من 67.5 مليار دولار إلى 9 مليارات دولار فقط، كما أن احتياطيات مصرفها المركزي من العملات الأجنبية – اللازمة لشراء الضروريات مثل الغذاء والوقود وقطع الغيار – قد استُنفدت تقريباً.

كذلك، فإن الاقتصاد السوري عانى منذ عام 2011، من التضخم المتصاعد في العام الماضي، حيث شهدت البلاد تضخماً مفرطاً وفقاً لتقرير نشره المركز السوري لبحوث السياسات في يونيو (حزيران) الماضي. وقال المركز السوري إن أكثر من نصف السوريين يعيشون في فقر مدقع، غير قادرين على تأمين احتياجاتهم الغذائية الأساسية.

ولم تسلّم العملة السورية بالطبع التي سجلت تراجعات دراماتيكية حيث فقدت أكثر من 95 في المئة من قيمتها، أضافة إلى نقص كبير في الموارد في الأسواق. وفي الوقت نفسه، انتشرت الأنشطة غير المشروعة في جميع أنحاء البلاد للتعويض عن العقوبات الغربية الخانقة.

باختصار، كانت الأزمة «واحدة من أكثر حالات الطوارئ تعقيداً في العالم» كما وصفتها الأمم المتحدة في عام 2024.

العقوبات... والنفط

عقود من العقوبات الدولية والعزلة أدت إلى فصل سوريا عن الاقتصاد العالمي. وكانت هذه العقوبات، التي فرضتها الدول الغربية والأمم المتحدة، تهدف إلى الحد من قدرة النظام السوري على تمويل عملياته العسكرية وقمع المعارضة، وإجباره على الجلوس إلى طاولة المفاوضات. ولكن إلى جانب استهداف الأفراد والمؤسسات المسؤولة عن الانتهاكات، تم توسيع العقوبات لتشمل قطاعات اقتصادية واسعة، مثل المصارف والطاقة.

لقد كان من الطبيعي أن تؤدي هذه التدابير إلى مفاقمة التحديات أمام احتمالات الاقتصاد وإلى شطب الفرص الاقتصادية، وخنق نشاط القطاع الخاص، وتقليص كبير لتعرض البلاد للأسواق العالمية. وكلها عوامل حيوية للتعافي.

والأهم كانت العقوبات المفروضة على قطاع النفط الذي كان يدعم الخزينة بالايرادات التي تحتاج إليها، حيث تم حظر بيع وشراء الغاز والنفط ومنتجات ذات صلة من سوريا، وبيع الأجزاء والمعدات والمعرفة الفنية المستخدمة في صناعة الطاقة، كما الاستثمارات في هذه المجالات في سوريا، وكذلك بناء محطات طاقة جديدة والاستثمار في الشركات العاملة في تطوير وإنتاج الغاز والنفط. كذلك، تم فرض عقوبات على شركات وأفراد مرتبطين بهذه الحقول في سوريا. كما عزز "قانون قيصر" الأميركي في عام 2020، الذي وسّع دائرة العقوبات، هذه العقوبات بشكل أكبر.

لقد كانت سوريا تنتج 383 ألف برميل يومياً قبل الحرب. أما الآن، فهي تنتج أقل من 90 ألفاً، وفقا لبيانات البنك الدولي. وبعد تدمير وإتلاف المرافق والأنابيب، بما في ذلك تلك التي تنقل الطاقة إلى العراق والأردن ومصر، باتت البلاد تعتمد بشكل كبير على إيران لتأمين حاجاتها النفطية.

وتمتلك سوريا مصفاتين كبيرتين للنفط، وهما بانياس التي تبلغ طاقتها الإنتاجية 120 ألف برميل يومياً، ومصفاة حمص التي تبلغ طاقتها 100 ألف برميل يومياً. لكن مصفاة بانياس علّقت عملياتها بعد توقفها عن استقبال النفط الخام من إيران والذي كان يشكل الغالبية العظمى من واردات البلاد.

في المقابل، تسيطر قوات سوريا الديمقراطية (قسد) الكردية على مناطق كبيرة في شرق وشمال شرق البلاد، حيث يتواجد معظم الاحتياطي النفطي، البالغ إجماليه 2.5 مليار برميل، بحسب إحصاءات إدارة معلومات الطاقة الأميركية. كما تضم المنطقة التي تحكمها "قسد" أكبر الحقول في البلاد، بما في ذلك حقل السويدية، الذي كان ينتج ما بين 110 آلاف إلى 116 ألف برميل من النفط يومياً، وحقل الرميلان، الذي كان ينتج 90ألف برميل يومياً، في الحسكة، فضلاً عن حقول دير الزور، وعلى رأسها حقل العمر النفطي الذي كان ينتج نحو 80 ألف برميل يومياً.

ونقلت «نيويورك تايمز» عن ديفيد غولدوين، وهو مسؤول كبير في مجال الطاقة في إدارة أوباما، قوله إن الحكومة السورية سوف تحتاج إلى إثبات ملكيتها لهذه الموارد وحقها في بيعها بشكل واضح. ثم يتعين عليها أن تكون قادرة على ضمان الأمن حتى يتسنى إصلاح البنية الأساسية وتشغيلها.

وفي وقت يواجه قائد «هيئة تحرير الشام» و«إدارة العمليات العسكرية» في سوريا أحمد الشرع، مهمة شاقة تتمثل في توحيد الفصائل، وإعادة إرساء سيادة القانون، وتوفير الأمن وإدارة الخدمات الأساسية، فإنه يواجه في المقابل تحدياً كبيراً وجوهرياً يتمثل في إقناع القوى الغربية برفع العقوبات وإعادة السيطرة على الحقول النفطية وشطب تصنيف «هيئة تحرير الشام» منظمة إرهابية.

فالشرع ووزراؤه في الحكومة الانتقالية يرون أن باب إعادة الإعمار يفتح بعد رفع العقوبات. لكن الدول الغربية تنتظر في المقابل أن تلتزم الحكومة الجديدة بشكل واضح بالإصلاح السياسي وبالاستقرار. وهو ما عبّرت عنه صراحة المفوضية الأوروبية التي أعلنت أن رفع العقوبات وزيادة المساعدات لسوريا يجب أن يتم النظر فيه تدريجياً، اعتماداً على أداء الحكومة الجديدة واستعدادها لتنفيذ الإصلاحات وقطع العلاقات مع إيران وروسيا. في حين جرى حديث أن واشنطن قد تعمل على إصدار ترخيص مؤقت صالح لمدة عام يسمح بإجراء معاملات اقتصادية كانت محظورة سابقاً بموجب العقوبات الأميركية على سوريا.

من جهته، كتب ديلاني سايمون، كبير المحللين في مجموعة الأزمات الدولية، على حسابه الخاص على منصة «إكس»، أن سوريا «واحدة من أكثر الدول التي تفرض عليها عقوبات شديدة في العالم"، مضيفاً أن ترك تلك القيود في مكانها سيكون بمثابة "سحب البساط من سوريا في الوقت الذي تحاول فيه الوقوف».

عودة اللاجئين!

بعد أكثر من عقد من الصراع، تظل سوريا أكبر أزمة لاجئين في العالم. فمنذ عام 2011، أُجبر أكثر من 14 مليون سوري على الفرار من منازلهم بحثاً عن الأمان. ولا يزال أكثر من 7.2 مليون سوري نازحين داخلياً في بلدهم حيث يحتاج 70 في المئة من السكان إلى مساعدات إنسانية ويعيش 90 في المئة منهم تحت خط الفقر، وفق آخر بيانات المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. كما يعيش حوالي 5.5 مليون لاجئ سوري في الدول الخمس المجاورة لسوريا – تركيا ولبنان والأردن والعراق ومصر. في حين أن ألمانيا هي أكبر دولة مضيفة غير مجاورة بأكثر من 850 ألف لاجئ سوري.

وبالتالي، فإنه من بين التحديات الأكثر إلحاحاً التدفق المتوقع للعائدين إلى الوطن. ويرى مراقبون أن استعادة سوريا لأولئك الذين يتمتعون بالتعليم والمهارات والموارد للعودة أمر بالغ الأهمية لإحياء اقتصادها. كما يقول أحد المحللين أن السوريين الذين لديهم المال هم المفتاح"، لكن العديد منهم لن يعودوا إذا لم تكن هناك كهرباء أو سيادة القانون.

لكن في المقابل، هناك مخاطر كبيرة من امكانية عودة هؤلاء، لافتقار سوريا إلى القدرة على استيعاب، ولو جزء بسيط من هذا العدد. فالبنية التحتية المتهالكة في البلاد عاجزة عن تلبية احتياجات السكان المتواجدين حالياً. إذ ثلث المساكن مدمرة أو غير صالحة للسكن. كما أن الخدمات الأساسية مثل الرعاية الصحية والتعليم والصرف الصحي في حالة من الفوضى، وفق «فورين بوليسي».

معالجة الأزمة الإنسانية

إن التركيز الفوري يجب أن ينصب على معالجة الأزمة الإنسانية في البلاد. إذ يعاني الملايين من السوريين حالياً من الفقر المدقع والجوع، مما يجعل جهود الإغاثة واسعة النطاق ضرورية. وبالتالي، فإن إعادة بناء البنية التحتية الحيوية – وخاصة في قطاعات الطاقة والإسكان والنقل _ هو أمر عاجل. كما أن استعادة إمدادات الكهرباء والوقود ليست مجرد ضرورة عملية فحسب، بل هي أيضا شرط أساسي للنشاط الاقتصادي وشبه الحياة الطبيعية.

ما مدى سرعة إعادة بناء الاقتصاد السوري؟

قد تحتاج سوريا إلى ما يقرب من 10 سنوات حتى تعود إلى مستوى الناتج المحلي الإجمالي لعام 2011، وعقدين من الزمن لإعادة البناء بالكامل، حسبما ذكرت مجموعة الأزمات الدولية والتي اشارت أيضاً إلى أن الجدول الزمني "قد يتفاقم في حالة حدوث أي عدم استقرار سياسي آخر". والتحدي هنا يكمن في جذب الشركات الأجنبية أو المشغلين الذين لديهم الموارد والمعرفة لإعادة البناء.

ختاماً، يعتمد مستقبل سوريا الاقتصادي على قدرة الحكومة في دمشق على تعزيز السيطرة وإرساء شرعيتها _ بما يرضي ليس فقط سكانها المتنوعين، بل وأيضاً الولايات المتحدة وحلفائها الذين لديهم الكلمة الأخيرة في ما يتصل بالعقوبات.

مستقبلات

البروفسور مازن الرمضاني*

مقاربة المستقبلات المتكاملة واستشراف مشاهد المستقبل

في الاعداد السابقة على العددين الماضيين من مجلة الحصاد تم تناول ثمة مقاربات منهجية واسعة التوظيف ومن ثم الانتشار ضمن دراسات المستقبلات سبيلا لنشر الوعي بأهمية دور هذه المقاربات في انتاج استشراف مبدع يتماهى والمشاهد الممكنة و/او المحتملة للمستقبل . وبهذا الصدد، لنتذكر أن التمكن العلمي العميق من إحدى أو بعض هذه المقاربات يُعد، وباتفاق الراي، أحد الشروط الأساسية التي تفضي على الباحث العلمي في استشراف المستقبلات خاصية الاحتراف وبالمخرجات العلمية الناجمة عنها.

ومنذ توظيف التفكير العلمي في استشراف المستقبل نحو منتصف القرن الماضي ودراسات المستقبلات تعمد إلى توظيف ثمة مقاربات تنطلق أما من التفكير الاستطلاعي/الكمي، أو التفكير المعياري/الكيفي. بيد أن هذه الدراسات بدأت، ومنذ بداية عقد التسعينيات من القرن الماضي في الأقل، تتجه نحو تحقيق تكاملها المنهجي. في ادناه سنتناول تطور هذا الاتجاه، ومن ثم نتناول مقاربة المستقبلات المتكاملة، كنموذج للنزوع نحو التكامل بين مقاربات هذه الدراسات.

1. تطور التكامل المنهجي في دراسات المستقبلات

في دراسته ، الصادرة عام 1994، عمد المستقبلي الامريكي، تيودور غوردون (Theodore J. Gordon)، الى تصنيف المقاربات التي كانت دراسات المستقبلات تستخدمها في وقته. ولهذا الغرض، أنطلق من معيار مركب تتأسس على السمة العامة لهذه المقاربات: استطلاعية أو معيارية، وكذلك على طبيعة الياتها: كمية أو كيفية. وقد افضت مخرجات دراسته إلى توزيع مجمل هذه المقاربات كالاتي:

- (12) مقاربه ذات سمة استطلاعية بالمقارنة مع (11) مقاربة ذات سمة معيارية .
- (8) مقاربات ذات طبيعة كمية (8) مقاربة بالمقارنة مع عدد تلك ذات الطبيعة الكيفية الذي كان (9) مقاربات.
- إما عدد المقاربات الاستطلاعية أو المعيارية، التي انطلقت من اليات ذات طبيعة كمية وكيفية في أن، فقد كان (7) مقاربات.

وتشير هذه المخرجات إلى أن نسبة الاخذ بكل من المقاربات الاستطلاعية/ الكمية، والمعيارية/ الكيفية كانت متقاربة في وقته. أما نسبة الاخذ بالمقاربات ذات الطبيعة الكمية/الكيفية، فهي وإن كانت أقل منهما ، إلا أنها كانت، مع ذلك، قريبة عنهما .

وبالمقابل، يُشير المستقبلي العربي، وليد عبد الحي، إلى أن الدراسة التي قام بها المستقبلي الامريكي، غوردون وزميله جيروم غلين، في عام 2004 لاستطلاع سمات وطبيعة (24) مقاربة مستخدمة في دراسات المستقبلات، افادت بمخرجات مختلفة، عن تلك التي ذهبت إليها دراسة المستقبلي, تيودور غردن, وكالاتي:

- لقد بلغ عدد المقاربات ذات السمة الاستطلاعية (21) مقاربة. إما عدد المقاربات المعيارية فقد كان (12) مقاربة.
- إما عدد المقاربات ذات الطبيعة الكمية فقد كان (9) مقاربات. إما عدد المقاربات الكيفية فقد بلغ (18) مقاربة.
- وإما عدد المقاربات الاستطلاعية والمعيارية، التي انطلقت من اليات كمية وكيفية، فقد بلغ (10) مقاربات.

وتفيد مخرجات دراسة عام 2004 بالمقارنة مع دراسة عام 1994 بأمرين مهمين: أولهما، تصاعد توظيف المقاربات الاستطلاعية وكذلك الكيفية. أما ثانيهما، فهو استمرار نمو الاتجاه بين المستقبليين نحو الاخذ بالتكامل المنهجي في دراساتهم للمستقبلات.

وقد دفعت ثمة مدخلات مهمة إلى هذا التكامل. فإضافة إلى تأثير مخرجات الخصائص التي استمر العالم يتميز بها منذ عقود، ولاسيما خصائص التغيير، ومن ثم اللايقين والتعقيد، ادت مخرجات التجربة الممتدة لدراسات المستقبلات إلى دعم هذا التكامل لغرض مهم يكمن في توليد تلك المعرفة التي تسهل عملية استشراف مشاهد المستقبل بيسر وكفاءة. وبصددها قال المستقبلي الامريكي، ويندل بل: " إن معرفة المستقبل هي المعرفة الاكثر فائدة...لأنها تساعدنا على الإبحار عبر الزمان باطمئنان". وبدورها تؤكد جمعية مستقبل العالم الامريكية على جدوى تكامل المقاربات المنهجية لغرض إنجاز استشراف مستقبلي أكثر دقة. وتكمن مخرجات هذه التجربة في الاتي:

- أولا، إن تركيز الاهتمام على تأثير مجموعة متغيرات محددة كالتكنولوجية والاقتصادية وتجاهل سواها ينطوي علي تعطل انجاز دراسة مستقبلية ذات مصداقية، لا سيما وإن المستقبل يُعد حصيلة لتأثير تشكيلة متعددة ومتنوعة من المتغيرات. ومن هنا يتكرر التأكيد على جدوى الانطلاق من حزمة شاملة من هذه المتغيرات لإنجاز مثل هذه الدراسة. فمثلا يقول ، وليد عبد الحي: إن « ...المنهج التجزيئي (Reductionism) الذي يسعى لفهم...الظواهر المعقدة وتطورها المستقبلي استنادا إلى بعض المتغيرات يشكل... منهجا قاصرا (وهو الامر الذي)... عزز الانحياز إلى المنهج الكلّي (Holism)».
- ثانيا، إن توظيف الإجراءات المنهجية لإحدى المقاربات لا يُعد ضمانة كافية لتأمين استشراف دقيق لمشاهد المستقبل.

فالمقاربة التي تتأسس مثلا على رؤية تفيد أن الحقائق التي تحكمت في انتاج صورة الماضي ستستمر لاحقا ثابتة في ايقاعها واتجاهها وستفضي الى صورة للمستقبل تتماهى وصورة الماضي، هي رؤية غير دقيقة في الاقل. ومرد ذلك أنها تتناسى ببساطة أن الماضي لا يُكرر ذاته، وإن مسيرة الحاضر نحو المستقبل قد تقترن بمفاجئات تجعل مخرجاتها من صور المستقبل مختلفة كليا عن تلك الصور، التي اقترنت بها أزمنة الماضي والحاضر.

وقد تكمن هذه المفاجئات في تأثير تلك المتغيرات التي تبدوفي وقت محدد ضئيلة الاحتمال، ولكنها تكون عالية التأثير عند حدوثها لاحقا. وفي دراسات المستقبلات يُطلق على هذا النوع من المتغيرات تسمية البطاقة المتوحشة (Wild Card) و/أو البجعة السوداء (Black Swan).

لذا، ومن اجل الاستعداد المسبق لمثل هذه المفاجآت، ومن ثم الاستشراف الدقيق لمشاهد المستقبل، يتكرر القول بجدوى الاخذ بالإجراءات المنهجية للعديد من المقاربات في ان. فمثلا يقول، وليد عبد الحي، أن: «...المزج بين التقنيات الكمية والكيفية لفهم آلية تحول الظواهر لرصد مسارها المستقبلي، (هو) أمر مبرر من الناحية العلمية...».

وقد ادى الاتجاه نحو التكامل المنهجي بين مقاربات دراسات المستقبلات إلى ابتكار مقاربة تتيح اجراءاتها المنهجية الارتقاء بهذا التكامل إلى أفاق أرحب واوسع، هي مقاربة المستقبلات المتكاملة (Integral Futures).

2. مقاربة المستقبلات المتكاملة

وعلى الرغم من أن الاتجاه نحو التكامل بين المقاربات الكمية والكيفية في دراسات المستقبلات كان أحد مداخل تطورها المنهجي عبر الزمان، بيد أنه لم يُؤد إلى بلورة مقاربة تكاملية (متكاملة)، إلا بعد دعوة المستقبلي الاسترالي الاصل ريتشارد سلوتر(R.Slaughter) ، في بداية القرن الحالي، إلى الاخذ بمقاربة المستقبلات المتكاملة في دراسات المستقبلات.

على أن ما تقدم لا يلغي أن لهذه المقاربة جذور تمتد إلى نهايات العقد السادس من القرن الماضي، وتحديدا إلى عام66 19، عندما اقدم المستقبلي الامريكي، اريخ جانتش Erich Jantsch))، على طرح ما اسماه بالاستشراف المتكامل (Integrative Forecasting) الذي تضمن الاخذ بمتغيرات اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وتكنولوجية، ونفسية، وأنثروبولوجيا، اثناء اعداد السياسات والتخطيط واتخاذ القرار.

وعلى الرغم من جذورها التاريخية إلا أن المقاربة المتكاملة تتأثر، وعلى نحو خاص، بمضمون النظرية التي ابتكرها الفيلسوف الامريكي، كين ويلبر (Wilber) (Ken، في ثمانينيات القرن الماضي، والتي أطلق عليها تسمية النظرية المتكاملة (Integral Theory). وبها اراد الجمع بين العديد من المقاربات في مقاربة واحدة سبيلا لتامين فهم ادق وأشمل لموضوع الاهتمام.

وتجد هذه النظرية تطبيقات عملية واسعة في حقول معرفية كثيرة، كعلم النفس، والقانون، والسياسة، وإدارة المنظمات ...الخ

تتأسس المقاربة المتكاملة في دراسات المستقبلات على منظور مركب قوامه التأثير المتبادل بين الذاتية الفردية والجماعية، بمعنى العلاقات النفسية (الذاتية) بين أفراد الجماعة من ناحية، وبين تأثير الموضوعية الفردية والجماعية، بمعنى الافعال الهادفة للجماعة من ناحية أخرى. وقد تم الانطلاق من هذا المنظور لبناء النموذج، الذي تمت تسميته بنموذج المربعات الاربعة (The Four Quadrant Model)، والذي تم استخدامه كخارطة تؤشر الطريق إلى المستقبل.

وكما تُفيد تسميته ، يقوم هذا النموذج على أربع مربعات متفاعلة تتوزع أفقيا إلى يسار ويمين، وعموديا إلى أعلى وأسفل. وكذلك على ربط هذه المربعات العمودية بالأفقية ببعض، وعلى نحو يفضي، من الجهة العليا للنموذج، إلى مربعين أحدهما على اليسار والاخر على اليمين. وإلى الشيء ذاته من الجهة السفلى للنموذج ،علما أن جميع هذه المربعات تشكل وحدة متكاملة، بمعنى أن كل مربع يكمل سواه.

وكذلك يتأسس هذا النموذج على مستويين متفاعلين من التحليل، ينطلق كل منهما من صعيدين: داخلي وخارجي. فإما عن المستوى الاول فهو يتناول الفرد، ويبحث في نواياه المقصودة، وهذا هو الصعيد الداخلي. وإما عن المستوى الثاني فهو ينصرف إلى البحث في تأثيرات العالم الخارجي الذي يتحرك الفرد بداخله، ولاسيما التأثير الثقافي، وانعكاساته على أنماط سلوك هذا الفرد.

ولأن هذا النموذج يربط بين المربعات العمودية بالأفقية، يُفيد كل مربع بمعنى محدد.

فالمربع الاعلى الايسر Upper Left، الذي هو المربع الذاتي، فإنه يُفيد بكيفية إدراك المرء لمعطيات عالمه الداخلي وانماطه السلوكية الناجمة عن هذا الادراك. وينصب الاهتمام هنا على الدوافع الذاتية للفرد، والتغيير في قيمه، ومدركاته، واهدافه، والمعنى المعطى للحياة من قبله. وعادة تتم الاشارة إلى هذا المربع بالحرف الانكليزي (I)، وبمعنى أنا.

إما المربع الاعلى الايمن (Upper Right)، فهو المربع الموضوعي، الذي يدل على الجانب الموضوعي للعالم الخارجي للفرد والانماط السلوكية التي يتبناها الفرد داخل عالمه الخارجي وعلى الصعد المتعددة. وعادة تتم الاشارة إلى هذا المربع بكلمة (IT) الانكليزية وبمعنى: هو، او هذا.

وإما المربع الاسفل الايسر (Lower Left) فهو يشير إلى كافة المعطيات الثقافية للعالم الداخلي للفرد، وباهتمام ينصب على تأثير القواسم المشتركة لهذا العالم، كاللغة والثقافة والمؤسسات. وتعبر كلمة (WE) الإنكليزية، أي نحن، عن هذا المربع.

وأخيرا يعبر المربع الاسفل الايمن (Lower Right)، عن كافة المعطيات الاجتماعية القابلة للقياس التي يتميز بها العالم الخارجي للفرد وهياكله الفرعية. وتعبر كلمة (IT'S) الإنكليزية عن هذا المربع.

وفي ضوء ما تقدم، يتميز نموذج المربعات الاربعة، ومن ثم النظرية التي ينطلق منها، عن سواه في أنه يسعى إلى تحقيق التكامل بين أربع عمليات ذات مضامين ذاتية وموضوعية واجتماعية وثقافية تُعبر عنها الكلمات الانكليزية بالتتابع (I, IT, WE, IT'S).

وجراء الخصائص التي تتميز بها هذه المقاربة، أكد، سلوتر، أنها تنطوي على فوائد مهمة. ومثالها أنها تتضمن الدعوة إلى بلورة رؤية عميقة وثرية وشامله لعالم مترابط، وكذلك التأكيد على ان انتاج المعرفة يكمن في الانطلاق من سبل متعددة، هذا فضلا عن أنها تلقي الضوء، وعلى نحو جديد، على دور الإنسان في صناعة مستقبله، سيما وإنها تؤكد أن ما يقوم به الفرد في العالم الخارجي (Out There) أنما هو محصلة لتأثير مرجعيات عالمه الداخلي (In There)

ولهذه الخصائص دعا، سلوتر، إلى الاخذ بنموذج المربعات الاربعة سبيلا لتامين استشراف أكثر دقة وأعمق تكاملا لمشاهد المستقبل، ومؤكدا على أن الانطلاق من تأثير المتغيرات الموضوعية كأساس وحيد للتفكير في المستقبل لا يعد كافيا، وانما الانطلاق أيضا من تأثير المتغيرات الذاتية. وبهذا، فانه يؤكد ضمنا على جدوى التكامل بين المقاربات الموضوعية والذاتية لبناء إطار نظري متكامل يتم استخدامه كخارطة طريق لاستشراف مشاهد المستقبل.

وعلى الرغم من القول إن سلبيات هذه المقاربة تكمن في إطارها الواسع، نرى أنها، وعلى العكس من ذلك، تُقدم استشرافا ابداعيا لمشاهد المستقبل يتأسس على مخرجات تفاعل متغيرات داخلية وخارجية على المستوى العمودي، وأخرى فردية وجماعية على المستوى الافقي. ولهذا تتكرر الإشادة بها. فمثلا قيل إنها دعمت عملية التكامل المنهجي بين مقاربات دراسات المستقبلات بمقاربة شاملة وعالية الكفاءة، وكذلك قيل إنها تُعد مدخلا مهما للإبداع في إنتاج دراسات مستقبلية غير تقليدية، سيما وإنها، كما يؤكد سلوتر، قد أفضت إلى احتواء نقص أساس، تتميز به ثمة مقاربات تستعين بها دراسات المستقبلات، يتمثل في سطحية تناولها لطبيعة العلاقة بين الإنسان والمستقبل.

ولعل أبرز المخرجات الايجابية لهذه المقاربة هو إنها افضت إلى عدد من التحولات في القواعد الرئيسية لمقاربات التحليل المستخدمة في دراسات المستقبلات، ويحدد، وليد عبد الحي، نقلا عن سواه، هذه التحولات بالآتي:

- العلاقة بين الجزء والكل. فبعد أن كان فهم الكل يتطلب فهم خصائص الجزء، «...أصبح التفاعل وشبكة العلاقات بين الاجزاء هي نقطة الانطلاق لفهم الظاهرة، لان خصائص الاجزاء ايست منفصلة عن «النسيج» الذي يضمها».
- الانتقال من «... البحث على اساس البنية إلى البحث على اساس العملية. فالبنية ليست إلا تجليا (لهذه) العملية...».
- «نهاية فكرة الموضوعية وانفصال الباحث عن ظاهرته».
- إن «.. مفهوم الوحدة الاساسية أو المتغير الرئيس ليس منفصلا عن المتغيرات الاخرى، لان خصائص المتغير الرئيس (لا) تكون بمعزلٍ عن تأثير المتغيرات الاخرى...».
- «الانتقال من الحقيقة العلمية التي سادت المنهج الوضعي إلى المعرفة التقريبية».

وحسب معلوماتنا، يعد المستقبلي العربي، فؤاد بلمودان, أول من تناول هذه المقاربة على صعيد دراسات المستقبلات العربية ولكن بصيغة لغوية يشوبها قدر من التعقيد وذلك في مؤلفه: الدراسات المستقبلية: الأسس الشرعية والمعرفية والمنهجية لاستشراف المستقبل الصادر عن المركز الثقافي العربي في بيروت عام 2013. ■

---

*استاذ العلوم السياسية الدولية ودراسات المستقبلات

لكلِّ مقامٍ...

الصّورة الأخيرة للروّح

واهمٌ من يظنّ أنّ تقدّم الزّمن هو حتمًا تقدّم الإنسانيّة في إنسانيّتها، أو هو حكمًا، أي الزّمن، قادر على الاستبدال ببدائيّة الإنسان حضاريّة يرفدها تطوّرٌ هائل وسريع وجذّاب. فالصّورة الحيّة المعولَمة الجديدة للإنسان، تثبت فكرة هيغل في وصف الحضارة الجديدة بأنّها "الصورة الأخيرة للروح"، عبر التحكّم في منظوماتها الرمزيّة وسرديّاتها التاريخيّة وتفكيك شيفرتها وفكفكة قيمها، ثمّ إعادة تشكيلها على نحو معياريّ مختلف، وتدميريّ مُعاصر.

وليست حروب السنوات الأخيرة سوى تجليّات ساطعة لهمجيّة الإنسان المتفوّقة على أي صورة من صور الحضارة الإنسانيّة. ألفيّة ثانية انقضت، و«غياب حالة السِّلْم»، كما وصف توماس مور الحرب، يُهَيمن على الكوكب الملتهب. وفي غياب حالة السلم تلك، تحترق الإنسانيّة بوقود حضارتها الجديدة، وتتلاشى معها «الصورة الأخيرة للروح»، من الزاوية الفلسفيّة السيكولوجيّة حيث تكمن النّزعة الغريزيّة للشرّ والعنف والخراب.

بين البدائيّة والحضارة لا يبدو الفرق جليًّا في تطوّر النّفس البشريّة، إذا قارَبنا نظريّة فيلسوف عصر التنوير جان جاك روسو القائلة إنّ القسوة هي نتيجة الحضارة، إذ «لم يكن الإنسان البدائيّ أكثر قسوةً من الحيوانات» أو «إنّ العنف ناتج عن الارتقاء»، ما يفسّر قوله المعروف L'homme Est Bon Par Nature C'est La Societe Qui Le Corrompt. الإنسان طيّب بطبيعته لكنّ المجتمع هو الذي يفسده). هل العنف حقًّا من مكنونات النّفس الإنسانيّة وطبيعتها، أم أنّه حالة طارئة على المسار البشريّ ربطًا بالتحوّلات والظّروف والمسبّبات القهريّة الاجتماعيّة والدّيماغوجيّة؟

«لا تعوّل كثيرًا على إنسانيّة الإنسان» قول يختصر تجربةً قاسية ومدهشة ومثيرة واستفزازيّة للفنّانة الصّربيّة مارينا أبراموفيتش رائدة «فنّ الجسد» المعروفة بـ «جدّة فنّ الأداء الجسدي»، ربّما تجيب فيها بشكل صادم على الحقيقة البشريّة العنفيّة. حين قدّمت الفنّانة في مركز المعارض في نابولي عام 1974 عرضًا وُصف بالخطير والمجنون تحت عنوان (Rhythm 0) أو «إيقاع صفر»، وهبت فيه الجمهور نفسها ستّ ساعات ليفعل بها ما يشاء، مع لافتة كتبت عليها: «هناك 72 عنصرًا على الطاولة يمكنك استخدامها كيفما تشاء. خلال هذا الوقت، أنا أتحمل المسؤولية كاملة». انقسمت الأغراض إلى فئتين، (أغراض ممتعة)، و(أغراض فتاكة). ريش وزهور وعنب وعطور ونبيذ وخبز. وسكّين ومقصّ وشريط حديديّ وشفرات حلاقة ومسدس مع رصاصة. في البداية كان التّفاعل خجولًا وهادئًا وأنيقًا، وبعد فترة من الوقت بدأ الجمهور يتجرّد من إنسانيّته، أو بالأحرى يستعيد طبيعته البدائيّة العنفيّة في استخدام الأدوات الحادّة وجرحها واستخدامها كدمية أو غرض للذّة العنف، إلى أن وصل العرض إلى ذروته القصوى حين سدّد أحدهم المسدّس إلى رأسها. تتذكر مارينا أبراموفيتش آخر ساعتين فتقول «شعرت بالاغتصاب، مزّقوا ملابسي، وألقوا أشواكًا ورديّة اللون في بطني، وضربوا مسدّسًا على رأسي». ■

ماجدة

جائزة الملك فيصل العالمية تعلن أسماء الفائزين

■ بعد انتهاء أعمال لجان الاختيار التي عقدت جلساتها في الرياض، أعلنت «جائزة الملك فيصل العالمية» أسماء الفائزين في دورتها السابعة والأربعين لعام 2025، وذلك بفروعها الأربعة: الدراسات الإسلامية، واللغة العربية والأدب، والطب، والعلوم. وضمت لجان التحكيم في هذه الدورة، خبراء وعلماء ومتخصصين من 16 دولة، لتقييم الأعمال واختيار الفائزين.

مُنحت جائزة الملك فيصل في فرع الدراسات الإسلامية، بالاشتراك مع سعد الراشد وسعيد السعيد، وموضوعها «الدراسات التي تناولت آثار الجزيرة العربية». وفاز العالم الياباني سوميو إيجيما في موضوع الفيزياء عن فرع العلوم، وحازت على جائزة الطب ميشيل سادلين وموضوعها العلاج الخلوي، فيما حُجبت جائزة فرع «اللغة العربية والأدب» لهذا العام وموضوعها «الدراسات التي تناولت الهوية في الأدب العربي»، لعدم تحقيق الأعمال المرشحة للمعايير.

تهدف الجائزة التي تأسست في عام 1977 إلى «خدمة المسلمين في حاضرهم ومستقبلهم، وإلهامهم للمساهمة في جميع مجالات الحضارة، وإثراء المعرفة البشرية وتطويرها»، ومنحت لأول مرة عام 1979، في 5 أفرع، وتوجهت إلى الأعمال المتميزة للأفراد والمؤسسات. وقد فاز بها أكثر من 290عالماً ينتمون إلى 45 دولة (منهم 11 عالمًا من المملكة المغربية)، وحاز عدد من الفائزين بها على جوائز عالمية رفيعة فيما بعد.

تعد جائزة الملك فيصل ثاني أكبر جائزة عالمية بعد جائزة نوبل، ويبلغ إجمالي جوائزها مليون دولار سنويا موزعة على خمسة فروع. منذ العام 1979.

ويمنح الفائز في كل فرع من أفرع الجائزة الخمسة، براءة من الورق الفاخر مكتوبة بالخط العربي، وميدالية ذهبية عيار 24 قيراطاً، وزن 200 غرام، ومبلغ مئتي ألف دولار أمريكي.

أثناء إعلان الجائزة للعالم الياباني

«بوكر» العربية قائمة طويلة للجائزة

■ أعلنت الجائزة العالمية للرواية العربية الروايات المرشّحة للقائمة الطويلة بدورتها عام 2025. وتُعدّ «بوكر» العربية، المختصة بمجال الإبداع الروائي في اللغة العربية، من أهمّ الجوائز الأدبية المرموقة في العالم العربي التي تهدف إلى مكافأة التميّز في الأدب العربي المعاصر، ورفع مستوى الإقبال على قراءة هذا الأدب عالمياً من خلال ترجمة الروايات الفائزة، والتي وصلت إلى القائمة القصيرة إلى لغات رئيسية أخرى ونشرها. ويرعى الجائزة مركز أبوظبي للغة العربية في دولة الإمارات العربية المتحدة، بينما تحظى بدعم من مؤسسة جائزة «بوكر» في لندن.

تضمنت القائمة الطويلة المختارة 16 رواية، من بين 124 كانت قد ترشحت للجائزة في هذه الدورة. اختيار القائمة الطويلة تولّته لجنة تحكيم مكوّنة من خمسة أعضاء، برئاسة الأكاديمية المصرية منى بيكر، وعضوية كل من بلال الأرفه لي أكاديمي وباحث لبناني، وسامبسا بلتونن مترجم فنلندي، وسعيد بنكراد أكاديمي وناقد مغربي، ومريم الهاشمي ناقدة وأكاديمية إماراتية.

وسيتم اختيار القائمة القصيرة من قبل لجنة التحكيم ، وإعلانها في 19 فبراير 2025 في مكتبة الإسكندرية في مصر. وفيما يلي الروايات التي اختيرت للقائمة الطويلة:

«دانشمند» لأحمد فال الدين من موريتانيا، و«أحلام سعيدة» لأحمد الملواني من مصر، و«المشعلجي» لأيمن رجب طاهر من مصر، و«هوّارية» لإنعام بيوض من الجزائر، و«أُغنيات للعتمة» لإيمان حميدان من لبنان، و«الأسير الفرنسي» لجان دوست من سوريا، و«الرواية المسروقة» لحسن كمال من مصر، و«ميثاق النساء» لحنين الصايغ من لبنان، و«الآن بدأت حياتي» لسومر شحادة من سوريا، و«البكّاؤون» لعقيل الموسوي من البحرين، و«صلاة القلق» لمحمد سمير ندا من مصر، و«ملمس الضوء» لنادية النجار من الإمارات.

بالإضافة إلى بعض الروايات التي وصلت إلى المراحل الأخيرة للجائزة سابقاً، وهي: «المسيح الأندلسي» لتيسير خلف (القائمة الطويلة في 2017)، و«وارثة المفاتيح» لسوسن جميل حسن (القائمة الطويلة في 2023)، و«ما رأت زينة وما لم تر» لرشيد الضعيف (القائمة الطويلة في 2012 و2024)، و«وادي الفراشات» لأزهر جرجيس (القائمة الطويلة في 2020، والقائمة القصيرة في 2023).

وتميزت الروايات المختارة لهذه الدورة بتنوع موضوعاتها وقوالبها الأدبية التي عولجت بها، بحسب رئيسة لجنة التحكيم منى بيكر، فقد تناولت كفاح المرأة، والعوالم الدينية والتطرف، والجوانب الإنسانية، ومواضيع السلطة والتاريخ والسير الذاتية والقصص البوليسية وغيرها.

روايات من القائمة الطويلة

جائزة «سيف غباش ـ بانيبال» للبريطانية كاثرين هولز

■ فازت المترجمة البريطانية كاثرين هولز بجائزة «سيف غباش ـ بانيبال» للأدب العربي المترجم إلى اللغة الإنجليزية، في دورتها لعام 2024، عن ترجمتها لرواية المصري أحمد ناجي «حرز مكمكم: القراءة والكتابة داخل السجن»، الصادرة عام 2023 عن دار نشر McSweeney's تحت عنوان Evidence Rotten ومن المقرر أن تتسلم الفائزة جائزتها في حفل تقيمه «جمعية المؤلّفين» في بريطانيا في 12 فبراير المقبل.

الجائزة تمنحها مجلة بانيبال ومؤسسة بانيبال للأدب العربي بالإنجليزية (Arab Literature Banipal Trust for)، التي تأسست عام 2006 وتديرها جمعية المؤلفين البريطانية مع عدة جوائز مماثلة للترجمة الأدبية. يرعى الجائزة ماليًا السفير الإماراتي عمر سيف غباش، الذي تحمل الجائزة اسم والده الراحل الوزير الإماراتي الأسبق للشؤون الخارجية سيف غباش.

وتمكنت هولز من الفوز بعد منافستها مع ست روايات وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة، في مهمة تميزت بصعوبة الاختيار كما قالت لجنة التحكيم، وذلك بسبب تقارب المنافسة بين ترجمات كتب بثينة العيسى وإيمان مرسال وأحمد ناجي، «لكن ترجمة هولز كانت الأفضل لأنّها لا تقدّم درساً متقناً على المستوى المعجمي والعبارات فحسب، بل تستخدم أيضاً مشرطاً لتشريح بنية النص العربي الأصلي وإنتاج نص أكثر سهولة بالنسبة للقارئ الإنجليزي». بحسب بيان اللجنة.

أما القائمة القصيرة فتضمنت: «أرواح إدّو» لإستيلا قياتانو (ترجمة سواد حسين)، و«قبل أن تنام الملكة» لحزامة حبايب (ترجمة كاي هيكينين)، و«ضياع في مكة» (خرائط التيه في عنوانها الأصلي) لبثينة العيسى (ترجمة ندى فارس)، و«في أثر عنايات الزيات" لإيمان مرسال (ترجمة روبن موجر)، و«مربّى ولبن.. أو كيف أصبحت أمّي لبنانية» للينا مرهج (ترجمة نادية عبد اللطيف وإنعام ظفر).

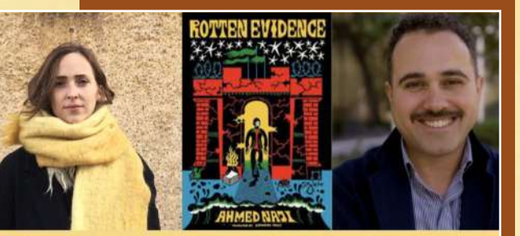

Katharine Halls Wins
2024 Banipal Prize

ملصق الرواية الفائزة

لبنان ـ نسرين الرجب*

درس الحقوق والاقتصاد، من لبنان إلى شرق إفريقيا، تحديدًا في دولة موزمبيق، عمل هناك لسنوات في التجارة، وحصل على الجنسية الموزمبيقيّة، زار العديد من الدول الإفريقيّة بما فيها مراكز وعواصم الثقافات العربية ومنها الإمبراطورية العمانيّة، ومن هذا الحضور العربي استلهم موضوع روايته «جزر القرنفل» (حكاية الحلم الأفريقي) والتي تتحدث عن زنجبار التي أنشأ فيها العمانيون دولة مزدهرة امتدت لقرون، وكذلك رواية «مالينديِ»، وفي «أفريقيا أناسٌ ليسوا مثلنا» حكى عن موضوع الاغتراب اللبناني في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين وتحفل الرواية بالكثير من الأحداث والإشارات السياسيّة والاجتماعيّة، وفي «رسالة النور» تناول سيرة ابن المقفع مشيرًا إلى قضية الصراع مع السلطة كموضوع قديم مُستجد في حياة المثقف العربي. وأيضًا، رواية «ميكروفون كاتم صوت» التي فازت بجائزة «كتارا» وجائزة «نجيب محفوظ للأدب» للعام 2024، بحيث قالت فيها رئيسة لجنة جائزة نجيب محفوظ للأدب في شرح حيثيات منح الجائزة: «وإن كانت (الرواية) تتحدث عن لبنان اليوم، إلّا أنها خرجت من محدوديّة المكان والزمان المفترض لتكشف واقعًا إنسانيًا عامًا عن أزمة الإنسان المعاصر في مدن تدفن الروح وتقتل الأحلام».

إضافة إلى روايات عديدة، عن عالمه الروائي، وتجربتهِ في السفر والكتابة، كان لـ «الحصاد» هذا الحوار مع الروائي اللبناني محمد طرزي.

● «الحصاد»: من عالم التجارة والاقتصاد، إلى عالم الكتابة والرواية، كيف توصّف هذه الرحلة؟

○ محمد طرزي: ليس انتقالًا من عالمٍ إلى آخر، فالأدب كان دائمًا جزءًا من حياتي منذ سنوات المراهقة. بعد تخرّجي من الجامعة، انخرطت في ميدان العمل كموظف، كما يفعل معظم الشباب. حقيبة سفري الأولى كانت مليئة بالروايات ودواوين الشعر، حين انتقلت إلى

الكاتب والروائيّ اللبنانيّ محمد طرزي لـ«الحصاد»:

الروائي شاهداً على الحياة يكتب بنبضِهِ

موزمبيق قبل نحو عقدين، للعمل في المجال المالي. هناك تعرّفتُ إلى الإرث العربيّ الغنيّ في شرق إفريقيا، الذي لم أكن على دراية كافية به من قبل. أذهلني هذا الوجود الممتد لأكثر من ثمانية عقود، خاصة أنه لم يلقَ اهتمامًا كافيًا من الروائيين العرب.

أصبح هذا الاكتشاف دافعًا أساسيًا للكتابة. فكتبتُ رواية جزر القرنفل، ثم واصلت استكشاف هذا الإرث في ماليندي وإفريقيا وعروس القمر. طوال تلك السنوات، كنت أكتب بالتوازي مع مسيرتي المهنية، محاولًا أن أوفق بين عالميّ الأدب والعمل.

● «الحصاد»: أين وجدت نفسك الكاتبة هل في الرواية التاريخيّة أم في الرواية الاجتماعيّة، وكيف وجدت تجربة الكتابة عن بلاد لست منها؛ إفريقيا مثلًا! ما الذي يصرّح لكاتبٍ أن يروي سيرة وثقافة بلاد أخرى؟

○ محمد طرزي: الانتقال إلى الرواية الاجتماعيّة أتاح لي مساحة أوسع للتعبير عن قضايا أكثر آنية وملامسة للواقع. ففي الرواية الاجتماعية تكمن المتعة في التقاط اللحظة وتفاصيلها، بينما في الرواية التاريخيّة تكمن تلك المتعة في البحث والتحليل، وملء الفراغات الزمنية والتفاصيل المهملة باستخدام الخيال والمشاعر الإنسانية.

أما بالنسبة للكتابة عن إفريقيا، فإن ارتباطي بها عميق على المستويين الثقافي والشخصي. والدتي وُلدت في سيراليون بغرب إفريقيا وعاشت هناك مع عائلتها لفترة طويلة، كما أنني قضيت في شرق إفريقيا مدة توازي تقريبًا إقامتي في لبنان. أشعر اليوم بانتماء مزدوج، إلى إفريقيا كما إلى لبنان، لأن الهوية ليست ثابتة، بل تتشكل وتتطور مع التجربة الحياتيّة.

ومع ذلك، فإن الانتماء للمكان ليس شرطًا للكتابة عنه، بل الأهم هو القدرة على التقاط ما يستحق التأمل والإشارة في الأدب. غالبًا ما يرى الغريب عن المكان تفاصيل لا يلاحظها أهله، وهذه المفارقة تشكل جوهر أدب الرحلات على سبيل المثال.

جدير بالذكر أن معظم ما كتبته عن إفريقيا حتى الآن ركز على الثقافات العربيّة وتاريخ العرب في تلك المنطقة، مسلطًا الضوء على تراثهم وقصصهم التي أراها جديرة بأن تُروى.

● «الحصاد»: في «رسالة النور» تناولت الجانب السياسي الثائر من حياة ابن المقفّع، كيف تنظرُ إلى التاريخ العربي في تعاملهِ مع الثائرين؟ وهل المواجهة مع السياسي أخف وطأة من المواجهة مع الديني؟

○ محمد طرزي: رواية رسالة النور تُعبّر بشكل واضح عن طريقة تعامل النظام العربي تاريخيًا مع الثائرين، أو حتى مع من يعبّرون عن آراء مختلفة بهدف تصويب عمل الحاكم، دون أن تكون لديهم نوايا انقلابية.

اليوم، تربط العديد من القوى السياسية في العالم العربي وجودها بالدين، بحيث يصبح التمرد عليها بمثابة تمرّد على الدين، ومحاسبتها تُعتبر تمردًا على المقدّس. هذا الربط مقصود، لأن المواجهة مع كل ما يُعتبر مقدسًا تُعقّد الصراع وتُضعف فرص التغيير. في المقابل، فإن المواجهة مع أحزاب لا تُخفي نفسها وراء عباءة الدين، وتُنتقد من خلال إبراز العيوب السياسية أو الاقتصادية، تكون أكثر وضوحًا وأقل التباسًا.

المواجهة مع من يستترون بالدين أخطر على المعارض، لأنها تُلامس الجوانب الإيمانيّة والعاطفيّة لدى الشعوب. هذا يجعل أي محاولة تغيير تُواجه بحساسية شديدة، إذ ينظر الكثيرون إليها كتهديد لعقائدهم وليس فقط كنقد سياسي.

● «الحصاد»: في رواية ميكروفون، تحدثت عن لبنان، وعن واقع أزماته المالية والاجتماعيّة أيضا من خلال شخصية سلطان، عن الزعيم الذي لم تسمه بالاسم، وعن الشبان الذين يلتحقون بالتنظيمات الحزبية ويتخلّون عن حياتهم السابقة في الانفتاح على الآخر وتقبله، وعن الهجرة بسوداويتها، كيف استجمعت هذه الموضوعات وهل انتابك الحذر وأنت تُقاربها من منطقة جنوبيّة «صور»؟

○ محمد طرزي: صحيح أن الحيّز المكاني للرواية هو مدينة صور، وصحيح أنها تناولت قضايا تبدو متصلة بأهل الجنوب، ولكن الغاية من كتابتها تتجاوز حدود المكان والزمان لتلامس أبعادًا عربية وإنسانية أوسع، بحيث تضيء على صراع المواطن اليومي مع التهميش، وسعيه نحو الخلاص الفردي والجماعي.

لذلك، لم يُذكر اسم المدينة التي تدور فيها الأحداث إلا مرة واحدة، وبشكل عابر في حوار باللهجة العامية، للتأكيد على هذا التوجّه. كذلك، لم يُذكر اسم الزعيم أو توضع له ملامح محددة، ولو أمعن القارئ النظر في صفاته داخل الرواية، لوجد أنها تشمل خصائص أكثر من زعيم لبناني، بل ربما تتقاطع مع زعماء عرب آخرين.

لم يكن ذلك ترددًا أو خوفًا، بل كان اختيارًا مدروسًا لتجاوز المحدوديّة المحليّة، ورسم صورة للواقع العربي في سياقات مشابهة. الزعيم الذي تُعلّق صوره في كل مكان، والذي يُكمّم الأفواه باسم الدين أو العقيدة السياسية أو الصراعات الإقليمية، يتكرر في كثير من بقاع المنطقة، شأنه شأن الميكروفون الذي تتكرر رمزيّته القمعيّة تحت شعارات متعدّدة، من دون حصرها بجغرافيا أو حزب بعينه.

● «الحصاد»: كيف برأيك يحمي الكاتب والأديب نفسه من الوقوع في عاطفيّة الأحداث التي تحصل في المنطقة هل بكونه غير منتميٍ، وكيف يجعل مؤلّفه مقروءا لدى كل الفئات على اختلاف الهويات والأفكار؟

○ محمد طرزي: لا ينبغي للروائي أن يحمي نفسه من العاطفة أو يحافظ على مسافة حياديّة تمنحه القدرة على كتابة نص يتجاوز التصنيفات والهويات. الروائي ليس باحثًا ولا مؤرخًا، بل شاهدًا على الحياة، يكتب بنبضه ونداءه الداخلي. العاطفة ليست عائقًا أمام العمل الروائي، بل هي جوهره ومحركه الأساسي. وظيفة الروائي ليست في أن يكون محايدًا أو أن يرضي جميع الأطراف، بل في أن يكون صادقًا مع ذاته ورؤيته.

كل الكُتّاب لديهم انتماءاتهم ومعتقداتهم، فهم لا ينطلقون في كتاباتهم من فراغ. مع ذلك، يتضح أن أبرز الأعمال الأدبية التي صمدت عبر الزمن ولا تزال تُقرأ بعد عقود، كتبها مؤلّفون لم يؤطروا أنفسهم ضمن قوالب حزبية أو أيديولوجية جامدة.

حتى لو انتمى الكاتب إلى فكر حزبي أو عقائدي، فإن عليه أن يبقى في حالة تساؤل وتفحص دائم لنفسه وللمؤسسات أو الأفكار التي ينتمي إليها. هذه الحالة من التساؤل تتيح له التحرّر من القيود التي قد تفرضها تلك الانتماءات، وتمكّنه من الكتابة بحرية أكبر. الكاتب الحقيقي هو من يطرح الأسئلة أكثر مما يقدم الإجابات، ومن يتجاوز الانتماءات الظاهرة ليصل إلى جوهر الإنسان وتجربته الوجودية.

الكتابة الروائية حالة فرديّة تعكس علاقة الكاتب بأزماته الشخصية والعامة. قد يتعارض ما يكتبه الروائي مع السرديّات الكبرى أو وجهات نظر القارئ. هذا ليس إشكالًا، بل دليلًا على فرادة النص وتميّزه. يكتب الروائي عمّا يمسّه شخصيًا، سواء كان ذلك تفصيلًا صغيرًا وسط أحداث كبرى، أو موقفًا فرديًا يتناقض مع الإجماع العام.

في النهاية، النص الأدبي هو عمل إنساني فردي، وليس محاولة لتقديم حقائق موضوعية لإرضاء أذواق متعددة؛ إنه تعبير صادق عن رؤية الكاتب للعالم.

● «الحصاد»: في عالم التطورات المتسارعة، حيث الذكاء الاصطناعي يشكل تهديدًا لإبداع المخيلة البشرية في آنيتها، كيف يواجه كاتب اليوم هذا التحدي؟

○ محمد طرزي: الذكاء الاصطناعي أداة يمكن استخدامها لرفع مستوى الإبداع الإنساني. فهو يساهم في تسريع عمليات البحث، تحسين جودة النصوص، وحتى دعم المترجمين بتقنيات تقلّل التكاليف وتختصر الوقت. مع ذلك، يظل الذكاء العاطفي والقدرة على التعبير الإنساني العميق من السمات التي لا يمكن للآلة محاكاتها بالكامل. كما أن الإبداع الحقيقي يكمن في التفاصيل التي تنبض بروح الكاتب، وهي أمور لا يزال يعجز الذكاء الاصطناعي عن تجسيدها، تمامًا كما يتفوّق الإنسان على الكمبيوتر في لعبة الشطرنج من خلال استراتيجيات غير متوقعة.

يبقى الكاتب هو المصدر الأساسي للإحساس والعمق الإنساني. لذا لا أرى الذكاء الاصطناعي يحل محل الكاتب، تمامًا كما لم تحل برامج التصميم محل المهندس المعماري، بل طوّرت عمله ورفعت من مستوى المنافسة. بالمثل، على الكاتب اليوم أن يرى الذكاء الاصطناعي أداة تدفعه لرفع سقف الإبداع، مع الحفاظ على جوهره الإنساني الذي يظل غير قابل للاستبدال.

● «الحصاد»: إلى أين تتجه رؤيتك إلى العالم بعد ميكروفون ؟

○ محمد طرزي: سأواصل مشروع الرواية الاجتماعيّة الذي يرتكز على هواجس الهويّة الجماعيّة، في ظلّ تناقضها أحيانًا مع سعي الفرد للاحتفاظ بحريّته، من دون التخلي عن الكتابة عن إفريقيا. ولكني، هذه المرة، أفكّر في التوجّه نحو تناول الهويّة الإفريقيّة الصرفة، بعيدًا عن التاريخ العربي في القارة السمراء. إقامتي الحالية في جنوب السودان وضعتني في تماس مباشر مع التقاليد والعادات الإفريقية التي ظلت محافظة على أصالتها، ولم تتأثر كثيرًا بالثقافات الغربيّة التي جاءت مع حقبة الاستعمار. هذا القرب من التفاصيل اليوميّة يفتح أمامي أفقًا جديدًا للكتابة، قد يحمل طابعًا أكثر تجذّرًا في خصوصيّة ثقافة القبائل الإفريقيّة. ■

*كاتبة وصحافية

الروائيّ اللبنانيّ
محمد طرزي

الشاعرة الفلسطينية نهى عودة لـ«الحصاد»:

سألقي قصيدة العودة حين نسترجع أرضنا

لم تفصل يوماً عاطفتها الفلسطينية عن واقعها وذكرياتها وقلمها

لها في العودة أمل على حافة الحياة

الرياض: رنا محمد خير الدين*

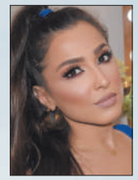

ما أمتع الحديث عن فلسطين، عن زهرها، وبحرها، وجبلها ونباتها، وترابها وأرضها، وما أجمل أن يحكي فيها أهلها وناسها، الذين هم أدرى بشعابها وبريقها، يعرفون دهاليزها لو كانت تفصل ما بينهم المسافات، ويبعدهم عنها الشتات، إلا أنّهم يحملون تاريخها وموروثها في قلوبهم عن أجدادهم وآبائهم. ولهذا الحديث كان لنا لقاء مع الشاعرة والكاتبة الفلسطينية، ابنة قرية شعب قضاء عكا، نهى عودة، التي قاست ظلم الحرب والتهجير واللجوء، لكنها، وكما تبرز كتاباتها، ظلّت تحمل فلسطين في قلبها، لكنها لم تقفل عليها راضخة للواقع، بل استغلت كلّ فرصة للحديث عن جمالها، معاناتها ومآسي العدوان عليها.

نهى، اكتسبت موهبة الشعر، كتابة وإلقاءً، فهي تعتبر أن الشعر يلد بالموهبة ويتغذّى بالمثابرة والتلقين، لا تبتعد عن واقعها بل تنثره في كتاباتها، فلديها القدرة على دغدغة أحاسيسك عند إلقائها الأبيات، في حديثها عن ألم الأم، ومآسي التهجير وقسوة القدر وصعوبة النجاة في زمن الحرب.

صدَرَت لها مجموعةُ أعمالٍ شعريَّة: نثرات روح، ولقلبي رأيٌ آخر وأنامل صوفية وغيرها من الدواوين ورواية.

من أبياتها التي علقت في ذهني تلك التي تقول فيها:

«للفلسطينية صلة معتّقة بالوجع
ترف ابنها على وقعِ زغاريد جيرانها
وتلدُ الطفل الآخر شهيداً
لا أعمار يرُاهن عليها في وطني
ولا فرحة بحفيد يطول أمدها
للفلسطينية صلة مع الفقد
ومع الاضطراب
والهلع حين سماع أصوات عند آخر الشارع».

● «الحصاد»: تقولين في إحدى مقابلاتك، "لا أحد يختار أن يكون شاعراً، بل الشعر موهبة". كيف اكتشفت موهبتك؟ أخبرينا عن البدايات.

○ نهى عودة: البدايات تعود إلى سنين طويلة تحديداً في المرحلة الثانوية، حيث كنت أكتب بعض الخواطر عن الوطن واللهفة للقائه.

تجدين أن كل شيء في بداياتي ينبض بفلسطين، في أزقة المخيم الذي ترعرعت فيه تستفزك الأزقة ويخاطبك الأطفال ويوجعك الحنين، وتبكيك الشوارع والحارات التي لا تكاد أن تلتقط أنفاسك بها لشدّة ضيقها وكأن السماء تطبق عليك، فكنت أشعر بضرورة تفريغ هذا الكمّ من المشاعر الداخليّة فأنصفني الحرف وما زال ينصفني ورفيقي الذي لا يتبدل.

● «الحصاد»: ما الذي يحرّك ساكنك لكتابة الشعر، أم أنها ومضة تلقائية وعفوية؟

○ نهى عودة: الشعر موهبة لطالما عبّرت عن ذلك واقتنعت به، أضيف إلى ذلك بأننا كفلسطينيين عشنا ظروفاً قاسية ولجوءاً مراً أطبق الحياة أكثر وأكثر على صدورنا.. وعلى مر العصور اقترن الشعر بالألم والصراعات والحنين والخوف والأمان والأمل، فكنّا على ما نحن عليه اليوم وكان الحرف الوسيلة الأقرب إلى القلب لإيصال جميع رسائلنا الإنسانية.

● «الحصاد»: للشاعر الفلسطيني، على مرّ السنين، حضور مميز في المحافل الشعرية والأدبية. برأيك إلى ماذا يعود ذلك؟

○ نهى عودة: قضية فلسطين هي قضية إنسانية عربية وعالمية. أوجعت جميع الشعوب العربية وشغلت عقولهم وبالهم وناضل الكثيرون منهم كما ناضلنا، إن بأموالهم وحروفهم وحضورهم ودعمهم، فلم تغب القضية يوماً عن الشارع العربي وتحديداً منذ نكبة عام 1948 وطالما الشتات والأرض المغتصبة على حالهما أنا على ثقة بأن الشعوب العربية ستظل تنبض بهذه القضية. وهذا ما يفسّر حضورها في جميع المحافل.

يتميز الشعر الفلسطيني بارتباط الوجدان الفردي في القصيدة بالوجدان الجماعي وارتباطه بالوجدان الشعبي بهدف تأصيل الوجود الفلسطيني تأصيلاً تاريخياً، وكذلك بعده الاجتماعي الطبقي والتصاقه بحركة الفعل الكفاحي الفلسطيني، فاتخذ بذلك سمات تبتعد كلّ البعد عن التصورات المتكررة للشعر، فمن قلب النفق المعتم تابع الشعر الفلسطيني في عطائه وإنتاجه بوجه النزف والقهر والدم.

كما نجد لدى الشاعر أو الكاتب الفلسطيني إحساساً مرهفاً في التعبير، لارتباطه المباشر بالألم.

● «الحصاد»: كشاعرة وكاتبة، لم تنفصل كتاباتك يوماً عن وجدانك الفلسطيني، فقد سارت معك بالتساوي مهما اختلفت هذه الكتابات من ناحية النوع. أليس على الشاعر أن يخرج من الصورة النمطيّة في تقديم أعماله؟

○ نهى عودة: لقد كتبت وطني بالطريقة التي أحبّ وأشتاق وآمل، ولربما أخذت القصائد الطابع الوطني الفلسطيني حتى الوجداني منها لم أستطع أن أنحّي الوطن خارج الوجدان. فعندما كتبت الحبيب أيضاً امتزج بالوجع الفلسطيني والحواجز العسكرية.

لديّ أيضاً قصائد كثيرة كانت خارج هذا النمط وأعترف بأنها الأقل، لكن هذا الطبيعيّ نظراً لأنني أحمل هذه القضية في قلبي وواجبي بكل محبة وانتماء تجاه وطني.

● «الحصاد»: تحدثت سابقاً، عن اللجوء ومعاناة الشعب الفلسطيني في المهجر، ونظمت الشعر بمآسي اللجوء. كيف تعبّرين عن ذلك الآن؟

○ نهى عودة: اللجوء أوجعني بطريقته، أن القصائد تختلف عند كل طرح، ففي كل قصيدة عن سابقاتها، نحن لم ننصف ولم نرجع إلى ديارنا وديار أجدادنا حتى الآن. فالغد وريث الأمس، لن أرثي هذا الوطن ولو كنت آخر لاجئة على هذه الأرض، سأناجي الله وأرتجيه وسأكتبه حتى يُحدث الله بعد ذلك أمراً.

● «الحصاد»: هل تتبعين حدسك عند الكتابة؟

○ نهى عودة: أتبع شعوري بما يدور حولي، تثير قريحة حرفي الأحداث التي لا تتوقف في بلداننا العربية، الإنسانية التي تجعلنا مقبلين على الحياة تحتّم علينا أن نكتب عن آلامنا ونعبّر عنها بالصفحات ونثر الوجع والحاجة على الورق، كما ننشر الحب فهو الوسيلة الوحيدة لتكملة الحياة بطريقة صحيّة وسليمة، وهي الطريقة الأمثل بالنسبة لأعبّر عن ذاتي.

● «الحصاد»: لك أيضاً بالكتابة الروائيّة. حدّثينا عن روايتك «على قارعة الحنين - سارة».

○ نهى عودة: «سارة» روايتي اليتيمة حتى الآن، تحدّثت عن اختلاف المذاهب في المجتمع وصعوبة الارتباط والحب الذي لا يشفع للعادات والتقاليد والقيود، فقد كانت تحتوي على عدة محاور ما بين التربية المبنية على الحبّ والثقة والرجل الشرقيّ بصفاته الجيدة والسيئة، التعايش بين المذاهب وطريقة التعاطي مع أحداث ومجريات وتغييرات الحياة الزوجية التي تطرأ على الشاب أو الفتاة.

هذه الرواية مزيج من الواقع، مزيج من العواطف والمشاعر، والتساؤلات.

● «الحصاد»: أين تجدين ملاذك في الكتابة الشعرية أم النثرية، ولماذا؟

○ نهى عودة: في كلتيهما، فلكلّ منهما أسلوبها وعمقها وطريقتها في إيصال ما نريده أن يصل للناس.

● «الحصاد»: ما الذي تعنيه عكا للشاعرة نهى عودة؟

○ نهى عودة: عكا مدينتي التي أحبّ والتي سأعود إليها وتحديداً إلى قريتي شعب. لا يمكن تجزئة فلسطين عندي، فكلّ شبر فيها لي من بحرها حتى نهرها، أنتمي لها بكل فخر واعتزاز بهذه الهوية. وعكا مثل حيفا ويافا والقدس والضفة وغزة.

● «الحصاد»: كيف تجدين الدور الذي يلعبه الكتّاب والشعراء في الحرب الأخيرة على فلسطين؟ وهل ترين أن الكلمة كافية للوقوف بوجه كلّ هذا الظلم والعدوان؟

○ نهى عودة: الكلمة ليست كافية طبعاً، لكن لكل إنسان أو فئة أو مجتمع دوره الذي يقوم به لنصرة فكرة أو قضية أو إيصال رسائل. فالشعوب تخاطب بالسمع ويستميلها القول فتستطيع الكلمة أن تكون مؤثرة إلى حدّ كبير، إنصاف هذه القضية من قبل الأدباء والشعراء والمفكرين والإعلاميين يتجلّى بدورهم ومكانتهم التي هم فيها. وهذا كافٍ ضمن نطاق عملهم وفكرهم.. فسوف يتولّى غيرهم مهام أخرى!

● «الحصاد»: إذا انتهت الحرب وعادت الأرض إلى شعبها واتخذ الحق مكانه، ما أول ما تقومين به؟

○ نهى عودة: سأكتب قصيدة «العودة».

● «الحصاد»: لما تستخدمين اللغة العربية الفصحى في قصائدك؟

○ نهى عودة: لأنها لغتنا الجميلة التي تعبّر عن كل شيء بطريقة أنيقة، أحبّ العربية وأسعى دوماً إلى تطوير نفسي.. وإتقان لغتي وفهمها والغوص في بحورها فما أعذبها من لغة تفي بغرض الحب والحزن وما أُهِلّ به لجميع أحداث الحياة.

عدا عن ذلك فإن الإنتاجات الفكرية باللغة العربية تتخذ منحى أكثر خصوصيّة من حثّ المفردات والصياغة والقواعد، حيث تثبت خطاها بالمعنى ومن الممتع إلقاء الشعر بالفصحى لجمال إيقاع الحركات فيه وتعدّدها. ■

* كاتبة وصحافية

دفاعها النظريّ عن الحداثة لا يقل قيمة عن قصائدها

نازك الملائكة: الأيقونة التي انقلبت على ذكورية الشعر العربي

بيروت ـ رنيم ضاهر*

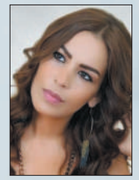

«قد يكون الشّعر بالنسبة للإنسان السعيد ترفاً ذهنياً محضاً. غير أنّه بالنسبة للمحزون وسيلة حياة وشمس حزن تشرب جرح البرتقال. فكيف ترضى يداك أن تقتل الإلهام ؟».

تيمناً بالثائرة السورية نازك العابد التي قادت الثوار السوريين في مواجهة جيش الاحتلال الفرنسي في العام 1923، أطلق الكاتب صادق الملائكة على ابنته الحديثة الولادة اسم نازك، دون أن يعلم أن جينات الكتابة التي تعود لعائلتها المثقفة ستجعل منها شاعرة استثنائية ورائدة للحداثة الشّعرية.

من أهم إصدارات نازك الملائكة: «عاشقة الليل» (1974)، «شظايا ورماد» (1949)، قرارة الموجة (1959)، مأساة الحياة وأغنية للإنسان (1977)، وللصلاة والثورة يُغيّر ألوانه البحر (1978).

اتجهت بخطى ثابتة لمعالجة قضايا وجودية، موضحة قلقها ومعاناتها النفسية التي عبرت عنها بطرق مختلفة نثراً وشعراً، هي التي تقصت عوالم التصوف الإسلاميّ بكل وجوهه وأضافت منه على ذاتها والقصيدة.

تأثرت الشاعرة بالرمزية ، وهذا ما جعل لنصوصها أبعاداً خيالية مضمرة، تحتاج إلى قارئ قادر على التقصي وتأويل المشهديات المتسمة بالفلسفة والعمق و قراءة بين السطور.

وتُعتبر الشاعرة رائدة الشعر العربي الحديث، هي والشاعر العراقي بدر شاكر السياب .

«أعتقد بأنني لو لم أبدأ حركة الشّعر الحر، لبدأها بدر شاكر السياب ، ولو لم نبدأها أنا وبدر شاكر السياب لبدأها شاعر عربي آخر غيري وغيره، فالشعر العربي الحرّ قد أصبح في تلك السنين ثمرة ناضجة حلوة على دوحة الشعر العربي، بحيث حان قطافها، ولا بدّ أن يحصدها حاصد في أية بقعة من بقاع العالم العربيّ، ويبتدئ عصراً أدبياً جديداً كله حيوية وخصب وانطلاق».

من تكون نازك الملائكة التي غيّرت إيقاعات الزمن، بدءاً من القصيدة إلى عقارب الزمن؟

وهل للأنوثة مساراتها في التغيير، وتأويل ما لا يعول عليه في النصوص الآفلة؟ وهل الشكل هو الذي يحدد القيمة الأدبية للشعر؟

إذن ، لماذا تجرأت نازك الملائكة دون غيرها على وضع عصافير على قبعتها الكلاسيكية، فوصل غناؤها إلى أبعد من أسوار القصر الملكيّ للمنابر، بربطات عنقها الذكورية الفجة؟

ولدت الملائكة في بيئة ثقافية، وهذا ما عزز لديها شعوراً بتقصي مختلف أنواع الآداب والفنون.

تخرجت الشاعرة من معهد الفنون الجميلة (قسم الموسيقى) عام 1949.

وفي العام 1959 حصلت على شهادة ماجيستير.

كذلك نالت شهادة في الأدب المقارن من جامعة ويسكونسن في أمريكا.

عيّنت أستاذة في جامعة بغداد والبصرة، وقد ظهر تأثرها واضحاً بالشّعر الفرنسي والإنجليزي وشعراء أمثال بودلير و سانت إيف وغيرهم.

اعتمدت الملائكة على الموسيقى الداخلية للنص، متنصلة من الأشكال التقليدية الرتيبة للإيقاعات والأوزان، وقد استطاعت من خلال ثقافة استثنائية، وبديهة حاضرة أن تتجاوز ما هو مألوف ومكرر، والعبور إلى الضفة الثانية للعالم، مكرسة مفهوم الحداثة الشعرية كواقع وتطبيق، بعيداً عن النظريات الكلاسيكية المعهودة.

استخدمت الشاعرة الرمزية وأشكالاً جديدة من الموسيقى، فاتحة للمعنى مجازات لا حصر لها، لمساً وتذوقاً وسمعاً وتنشقاً، بعيداً عن المبنى الاعتياديّ والسائد في عصرها المتزمت، الذي كان يختصر دور المرأة بالانصياع، وترك الزمام للرجل في ساحات الثقافة العامة .

لقد استطاعت من خلال تجربتها العميقة، التمرد على الشعر العمودي، والتمهيد لثورة المرأة على التقاليد البالية، وذلك على كافة المستويات.

«تنبأت في مقال لي نشرته مجلة «الأديب» بأن حركة الشّعر الحرّ: «ستتقدم في السنين القادمة حتى تبلغ نهايتها المبتذلة، فهي اليوم في اتساع سريع صاعق، ولا أحد مسؤول عن أنّ شعراء ضحلي الثقافة سيكتبون شعراً غثاً بهذه الأوزان الحرّة"، واليوم أتنبأ بأن حركة الشّعر الحرّ ستصل إلى نقطة الجزر في السنين المقبلة، وهذا يعني أنّ الشّعر الحرّ سيبقى قائماً ما قام الشعر العربيّ وما لبثت العواطف الإنسانية».

تزوجت نازك الملائكة من الشاعر العراقي عبد الهادي محبوبة. وعلى الرغم من الصعوبات التي رافقتها في حياتها غير المستقرة، فإنها استثمرت معاناتها وخذلان الحياة لها ، بطريقة إبداعية لتصبح ملهمة لذاتها ، مشاركة في تحرير القصيدة من قيودها ورجمها لأصنام الخيال الثابتة في المكان والزمان.

لقد تبوأت سدّة المدافعين عن التخلي، التخلي كمقياس حقيقي لمغادرة القطار من باب آخر أكثر دلالة على الضوء الجديد القادم من عالم بديل .

تُعتبر قصيدة «الكوليرا» أول قصيدة تكتب على بحر الشّعر الحرّ، والمؤسسة لمدرسة شعرية غاية في الحداثة والابتعاد عن المألوف، وهي من أوائل هذا النوع في الأدب العربيّ.

«سكَنَ الليلُ/ أصغ إلى وقْع صدَى الأنّاتْ
في عفْو الظلمةِ، تحتَ الصمتِ، على الأمواتْ
صرَخَاتٌ تعلو، تضطرب/ حزنٌ يتدفقُ، يلتهب
يتعثّرُ فيه صدَى الآهاتْ/ في كل فؤادٍ غليانْ
في الكوخِ الساكنِ أحزانٌ/ في كل مكانٍ روحٌ تصرخُ في الظُلُماتْ/ في كلِّ مكانٍ يبكي صوتٌ
هذا ما قد مزّقَهُ الموتُ/ الموتُ الموتُ الموتُ الموتْ».

لم تكتف نازك الملائكة بكتابة الشعر، بل كتبت المقالات النقدية مركزة على تطوير القصيدة لتلائم روح العصر، سواء في الشكل أو المضمون.

ومن مؤلفاتها غير الشعرية ، «قضايا الشعر الحديث، التجزيئية في المجتمع العربي، سيكولوجيا الشعر، الصومعة والشرفة الحمراء ، إضافة إلى مجموعة قصصية تحت عنوان «الشمس التي وراء القمة ».

وقد أحدث صدور كتابها " قضايا الشعر الحديث" ضجة في الأوساط الأدبية ، ما بين مؤيد ومعارض نتيجة جرأتها في تناول قضايا الشّعر، وقدرتها على النقد اللاذع للنصوص الرديئة والتجارب الوضيعة، التي لم تنقذها القوافي والهندسة الخارجية من التعفن والهلاك.

لقد استطاعت الشاعرة المسكونة بالشعر والقلق الداخليّ الواضح، إبرام صفقة مع الحرية بكافة أشكالها، فكان لقب شاعرة الحداثة كما ارتأته لنفسها، متخلية عن معطف الذاكرة الجمعي الثقيل ، مطلقة العنان لقصيدة من نوع آخر، غير متماثلة الوزن والقوافي، فاسخة العقد مع الأبيات الخليلية، تاركة الخيار للمعنى والموسيقى التي تلحن كلماتها تبعاً لأهواء الرياح والأجراس والصمت أحياناً.

توفيت الشاعرة نازك الملائكة في العام 2007، بعد أن اختارت أن تعيش عزلة اختيارية في القاهرة منذ العام 1990، ودفنت في مقبرة خاصة للعائلة غرب القاهرة .

«الليلُ يسألُ من أنا /أنا سرُّهُ القلقُ العميقُ الأسودُ
أنا صمتُهُ المتمردُ / قنّعتُ كنهي بالسكونْ
ولفقتُ قلبي بالظنونْ / وبقيتُ ساهمةً هنا
أرنو وتسألني القرونْ/ أنا من أكون؟
والريحُ تسأل من أنا/ أنا روحُها الحيران أنكرني الزمانْ/ أنا مثلها في لا مكانٍ نبقى نسيرُ ولا انتهاءْ
نبقى نمرُّ ولا بقاءْ/ فإذا بلغنا المُنْحَنى/ خلناهُ خاتمةَ الشقاءْ
فإذا فضاءٌ/ والدهرُ يسألُ من أنا/
أنا مثلهُ جبّارةٌ أطوي عُصورْ
وأعودُ أمنحها النشور
أنا أخلقُ الماضي البعيدْ من فتنةِ الأمل الرغيدْ
وأعودُ أدفنُهُ أنا/ لأصوغَ لي أمساً جديدْ
غدُهُ جليد/ والذاتُ تسألُ من أنا
أنا مثلها حيرى أحدّقُ في ظلام لا شيءَ يمنحُني السلامْ
أبقى أسائلُ والجوابْ سيظلَ يحجبُهُ سرابْ
وأظلّ أحسبُهُ دنا/ فإذا وصلتُ إليه ذابْ/ وخبا وغاب».

أنا الشاعرة نازك الملائكة، لم يمنعني التواجد في مجتمع ذكوري، حاد الطباع، من محاربة الجهل والتقاليد. البالية.

نسجت من عالمي الداخلي المضطرب، حالة تجدد ومهدت الطريق أمام الرواد الجدد .

كنت «عاشقة الليل»، الذي شققت عبره طريقي وسط ظلام اللحظة، فأصبحت المرأة والشاعرة والأديبة التي لا تخشى على نفسها بل على القصيدة المسجونة بأسلاك شائكة.

لقد منحت لها كل ما أملك من أجنحة «الملائكة» لتتحرر وتحلق كغيمة تمطر غيوماً أكثر فأكثر، "ليغيّر ألوانه البحر".

«حكمت أن الشعر الحرّ، قد طلع من العراق ومنه زحف إلى أقطار العالم العربيّ، ولم أكن يوم أطلقت هذا الحكم أدري أن هناك شعراً حرّاً قد نظم في العالم العربي، قبل نظمي لقصيدة " الكوليرا ».

«لا أحد من الشّعراء» من مختلف الأجيال، لم يقرأ لنازك سواء اتفق مع توجهها في القصيدة وأفكارها. لأنّها تعني مرحلة كاملة من تاريخ العراق الشّعريّ. وهي أصبحت أيقونة ومثلاً وقدوة» كما يقول الناقد والكاتب العراقي الراحل ماجد السامرائي.

وفي الختام يمكننا القول إن نازك الملائكة رقم صعب في حركة الحديث، حيث رسمت لنفسها بعداً إضافياً سواء في مجال النقد الذي أبدعت فيه أو في فن الشّعر، مثبتة أن المرأة قادرة على تغيير المجتمع والفن والثقافة السائدة.■

*كاتبة وشاعرة

إستضافة رئاسية من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر

الأدب الجغرافي العربي في الإنتاجات الأدبية

اليمن ـ لطيفة حسيب القاضي*

يشكل الأدبُ الجغرافي موروثًا ثقافيًا حضاريًا كبيرًا، فهو يزخر بمختلف الفنون والأشكال الأدبية، وقد اهتم الأدباء والشعراء بالمكان بشكل واضح، فاقتنصوا فيه لحظات مناسبةً للقراءة، فكان إلهامًا ووحيًا لهم ينسج من خيالاتهم، فيتجلى في كتاباتهم وأشعارهم.

يوضح المستشرق الروسي (أغناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي) معنى الأدب الجغرافي قائلًا: "وليست الغاية الأساسية منه تقديم عرض عام لتاريخ الجغرافيا بقدر ما قصد به معرفة تاريخ الأنماط الأدبية المرتبطة بعلم الجغرافيا بصورة أو بأخرى" موضحًا أن الأدب الجغرافي هو تلك النصوص الأدبية وغير الأدبية التي شكلت الجغرافيا جزءاً أساسيًا من بنيتها أو كان لها وشائج تربطها بها، وعلى إثر ذلك فإن أنماط الأدب الجغرافي لم تظهر دفعة واحدة، ولا في عصر واحد، بل ظهر عبر عصور متعاقبة، ويعتبر تراثًا سرديًا ارتبط ظهوره بانتشار الإسلام في الأقطار والبلدان العربية؛ وهذا التراث غني بالنصوص التي كتبها الأدباء، فيشكل إطارًا مغايرًا لكتب البلدان وأدب الرحلات والمعجمات الجغرافية، بل كان رحمًا توالدت فيه عدة أنواع من الكتابات الفنية الجمالية، وتطورت على مدى التاريخ إلى إنتاج نصوص مثّلت علامات فارقةً في الأدب العربي والأدب العالمي.

لا جرم أن الأدب الجغرافي يقدم موضوعًا جغرافيًا من وجهة نظر أدبية تفرضها شخصية الرحالة ومكوناتها الثقافية، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، ويكون في توازن بين الموضوع والذات.

إن مساهمة الجغرافيا في إحياء التراث العربي لا تقف عند كتب البلدان والرحلات والمعجمات الجغرافية، بل إن المادة الجغرافية الموجودة بها تفوق ما قد نجده في الكتب الجغرافية؛ فعلى الجغرافي أن يأخذ من تلك العلوم جميعًا.

تواشج الأدب بالجغرافيا

اشتغل مؤرخو الأدب بعلاقة الجغرافيا بالأدب منذ القرن التاسع عشر، حيث اعتبر (هيبوليت تين) البيئة والعرق والجنس من مقومات الأدب العربي، وذهب إلى تأكيد الأثر الكبير للوسط الجغرافي في تشكيل شخصية الكاتب العربي.

وفي ضوء ذلك يعدّ (أندري فير) من رواد هذا التوجه الجديد في دراسة علاقة الأدب بالجغرافيا في كتابه الأول بعنوان: (جغرافيا مارسيل بروست) سنة 1939 وفي كتابه الثاني (الجغرافيا الأدبية) سنة 1946 ومنذ التسعينات من القرن المنصرم بدأ الاتجاه في هذه الدراسات يتحقق من خلال العديد من المؤتمرات والإعدادات المتخصصة، وخير مثال على ذلك (فرانكومونتي) الذي عمل على تشكيل (أطلس للرواية الأوربية 1800–1900) سنة 2000 الذي أثار اهتمامًا واسعًا لدى المهتمين بالجغرافيا الأدبية.

لقد كانت جغرافيا الأدب العربي قديمًا وحديثًا غنية بالفضاءات العربية في شموليتها وخصوصيتها المتعددة، حيث تفتح لنا مجالات واسعة لاكتشاف الفضاء الذي نعيش فيه. ومما لا شك فيه أن الأماكن والشوارع تعمل على حفظ الثقافات، وهي جزء لا يتجزأ من الجغرافيا. من هنا، نجد الشعراء المعاصرين أكثر الواصفين للأمكنة؛ لذلك فإن الإبداع الفني هو جزء من خيال لا يقف عند حدود الممكن و المتجسد في الواقع، بل يتجاوز إلى خلق أشياء جديدة، وكأنه يهب لها الحياة من جديد.

يتكئ الأدب كثيرًا على علم الجغرافيا، ففي الأدب نجد جميع أنواع الجغرافيا الطبيعية والبشرية؛ كما نجد الأديب يقوم بمسح سطح الأرض التي يعيش فيها، للتعرف على أعلامها الجغرافية؛ لكي يوظفها في نصه الإبداعي، ويجعل القارئ يجول معه في الطبيعة، ويتعرف على حياة الناس وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم في تلك البيئة؛ وهنا يتفاعلُ المتلقي مع هذه الطبيعة وأعلامها الجغرافية، فيحلل ويكتشف ويلاحظ جغرافيا المحيط من خلال النص، وهذا يدل على امتزاج الجغرافيا بالأدب. فالأدب لا يستغني عن الجغرافيا.

إن ذكر الأماكن في العمل الأدبي يزيد من رونق النص وجماله، ويَلفتُ انتباهَ القارئ، لمَا لهذه المواضيع المختلفة من أداء فني يرسمه الأديب بها داخل النص الشعري أو القصصي أو الروائي، فتزداد جاذبية النص؛ ذلك لأن المتلقي يعيش داخل هذه الأمكنة بخياله، فيطوف ويجول، فيتمتع بهذه المناظر، ويشاركُ الأديبَ في العيش معه؛ وهنا نجد أن المبنى المكاني مع المبنى اللغوي يشكلان معًا جسد النص وأداءه الفني؛ ومن هنا، فإن العلاقة بين الأدب والجغرافيا علاقةٌ وطيدة، تعمل على تبادل المعرفة والأخبار والجمالية الفنية، ولا يمكن إنكار هذا مُطلَقًا في أي حال من الأحوال.

شعراء يحكون عن الأمكنة

المقصود بالمكان هو المكان الملهم للشعور والشاحذ للذاكرة والمشكل للخيال، فالمكان يسيطر على القارئ ويتقاسم أحاسيسه معه حتى من دون أن يكون قد زاره أو عرفه من قبل، فالعلاقة بين الصورة الشعرية والنمط الخيالي هي علاقة بحث مستمر عن تبريرها في الواقع المحسوس، ويمكن وسم جغرافيا معينة بعلامات ثقافية خاصة بها، حيث يمتد المكان إلى ما وراء الواضح إلى عالم الشعور والعاطفة والحرية.

مما هو متفقٌ عليه عند الدارسين والباحثين في الحقل الأدبي، أن الشعر (لدى العرب) هو قلبُ معرفتهم النابض؛ إذْ تجتمع فيه مختلَف أحوالهم الحياتية، والاجتماعية، والنفسية، والثقافية، والعادات والتقاليد، فكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوانَهم الذي يُودعُون فيه حكَمهم وعلومهم، وكان الشعر عندهَم (إلى حدٍّ ما) بمنزلة الكتب السماوية في غيرهم من الأمَم، ولولاه ما عرفت الجغرافيا العربية مواقع الصحراء، ومرابعها، وواحاتها، وجبالها، ووديانها؛ وكل ذلك مدون عند الشعراء، ومخلد فيها؛ فنجد أن الجغرافيا مبثوثة في ثنايا القصائد الشعرية بشكل أساسُه الفن الجمالي. في القصيدة تجد كل ما له علاقة بالجغرافيا، إذ لا تخلو قصيدة واحدة من ذكر الأماكن، فهي أعلام جغرافية خلدتها القصائد التي تُكتَبُ بماء الذهب.

لا غرو في ذلك، فإن المتتبع للشعر الجاهلي يستطيع أن يعرف الكثير من المعارف والأفكار الجغرافية عند العرب، حيث نجد استلهام العرب قصائدهم من الأمكنة، وخاصة المعلقات؛ فهذا امرؤ القيس يقول:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ
بسقْطِ اللوَى بين الدَّخُولِ فحَومَلِ
فَتوضحَ فالمقراةِ لَم يعفُ رسمُها
لِمَا نَسجتْها من جنوبٍ وشمألِ

ففي هذين البيتين خمسة مواضع للأمكنة، ذكرها الشاعر، وهي: سقط اللّوى، الدَخول، حَومَل، تُوَضِح، المقراة؛ ومن هنا، أصبح الشعر العربي القديم مصدرًا هامًا من مصادر كتابة الجغرافيا الأولى.

امتزج العربي بالبيئة التي يعيش فيها امتزاجًا كلياً، وكما كان يعرف الأماكن التي يعيش فيها وألفها، فكذلك كانت هي الأخرى قد عرفته وألفته، فكان تفاعل الشاعر الجاهلي مع المكان حسيًا ومعنويًا، فأخذ صورًا من مدلولات مختلفة برزت من خلال رؤيته الفنية التي جسدت المكان في الواقع.

الفضاء الحكائي عند الروائيين

أما في النص الروائي، فإن الأمر لم يختلفْ كثيرًا عن الشعر؛ فإن الفضاءَ أو المكانَ الحكائي

يُعَدُّ القاعدةَ الأساسية في أي عمل أدبي، خاصةً الكتابةَ الروائية، والذي تبنى عليه سائرُ الأحداث والتوقعات والتنبؤات التي يحملهاَ النص الفني. وتعد الرواية نوعًا من الجغرافيا؛ لأن عالم الرواية يحوي أماكن ومواقع وفضاءات متنوعة تشغلها الشخصيات. لذلك فإن جنس الرواية شكل تعبيري جغرافي؛ وذلك لحضور المكان والحدود والآفاق، وتعدد الرؤى ووجهات النظر بشكل مكثف. لقد تناول الروائيون في الشرق والغرب فضاء المدينة وما طرأ عليها من تحولات وطرق العيش، والقيم المجتمعية، والعادات السائدة في رواياتهم، بهدف تناول إشكالاتها وظواهرها المختلفة؛ وبناءً عليه تم وصف المشهد الحضاري والمشهد الريفي ومعتقدات المجتمع، وكانت الكتابات في معظمها تحاول نبذ الأفكار التي جاءت بها سياسة التصنيع وتهميش العالم القروي والليبرالية الاقتصادية؛ والنتيجة أن معظم الكتابات كانت تعبر عن جغرافيا أخلاقية.

في رواية «البؤساء» للكاتب (فيكتور هيكو) اختار باريس لتكونَ فضاءً للحكاية، فوصف فيها أزقة الفقراء المهمشين في مشهد جغرافي مظلم، محاولًا التعبيرَ عن الرفض ونقد الأوضاع السائدة، فشكّلتَ عالَمًا يعارض حياة المجتمع إبانَ ما قبل الثورة الفرنسية. كما نجد عند الروائي الليبي)إبراهيم الكوني) في روايته "نزيف الحجر" نموذجًا ساطعًا في سرد تفاصيل عالم الصحراء وحياة الطوارق، حيث يعبر فيها عن جمالية هذا الفضاء، ويشكل أحد عناصرها الفنية الذي تجري فيه الأحداث، وتتحرك من خلاله الشخصيات.

إن الفضاء الروائي له وظيفة أساسية لا ننكرها، ألا وهي الوظيفة الجمالية؛ فالفضاء يُسهم في تأكيد شعرية الرواية، سواء أكانت روايةً عربية أم عالمية، حيث نجد كثيرًا من الروائيين استطاعوا أن يجعلوا من صفحات رواياتهم مسرحاً، لتقديم فضاءٍ يُسهم في إضفاء جمال أخّاذ علىَ خطابهم الروائي.

فالعلاقة بين الأدب والجغرافيا متشبثة بعضها ببعض، إذْ يؤكد المفكر (غاستور باشلار) أن إنشائية الكتابة لا تخلو من الناحية الموضوعاتية من بُعد بيني، فهو يذهب في تحليل جمالية الفضاء، ويؤكد أن العلاقة بين الكتابة واللغة هي التي تحدد زاوية نظر المتكلم إلى الفضاء؛ وبذلك يكون المكان موضوعًا أدبيًا أي ظاهرة جمالية في إدراك الأشياء، فيذهب بخطابه إلى المكان أو الفضاء.

في رواية «البيت الأندلسي» للروائي الجزائري (واسيني الأعرج) بروزٌ للفضاءات بكل أنواعها، وتنوعت الفضاءات من فضاء جغرافي إلى الفضاء الدلالي، إلى الفضاء النصي، إلى الفضاء الحضاري؛ وهذه الأنواع أضفَتْ نوعًا من الشعرية والجمال والحس الرهف.

وعند الأديب المصري (نجيب محفوظ) نجد حضورًا للمدينة المصرية، التي ترصد حياة المجتمع المصري، وتميزت معظم أعماله بمنطق الوصف في بعده المكاني؛ ومن أهم هذه الروايات: رواية «أولاد حارتنا» التي فازت بجائزة نوبل للآداب عام 1988.

ومن الجلي أنه لا توجد أية رواية تخلو مما يعرف بالفضاء الجغرافي النصي؛ ففي القصص البوليسية يعد الكاتب الرومانسي الألماني إرنست هوفمان (1822-1776)أولَ من كتب الروايات البوليسية؛ كما كتب الكاتب الأمريكي إدغار آلان بو (1809–1849) قصصَ الجرائم؛ بالإضافة إلى الطبيب الأسكتلندي آرثر كونان دويل (1859–1930) صاحب قصص المحقق الشهير شارلوك هولمز؛ وأيضًا مؤلفة الروايات البوليسية البريطانية أغاثا كريستي (1890-1976)، فقد كانت الأمكنة فيها جزءًا متكاملًا مع البناء الفني للقصة، والرواية البوليسية.

كما تحضر الأمكنة في الروايات الرومنسية أيضا، حيث شهد هذا النوع إحياءً امتد من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر، على يد الكاتب الإنجليزي هوراس والبول، مع روايته _قلعة أوترانتو_ التي ترجع لعام 1764، وأيضًا ماري شيلي، واللورد بايرون، وصموئيل تايلور كوليردج، وجميع الروايات تنطوي على تصوير واقعي للحياة، وموضوعات الحب والعاطفة، وجمال الطبيعة، والحدائق والأنهار وقوة الخيال. ■

*أديبة، شاعرة وقاصّة

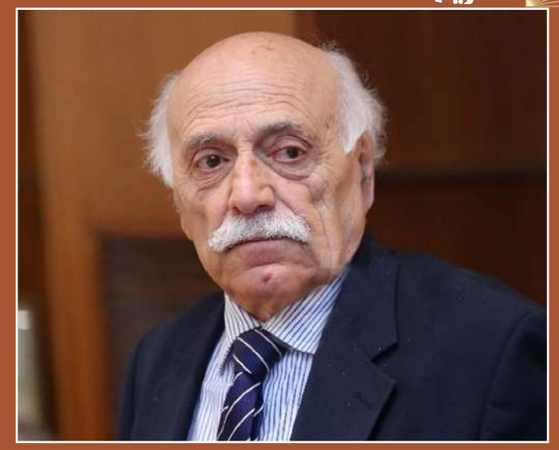

الشاعر طلال حيدر

وزير الإعلام اللبناني خلال الاحتفاء بالشاعر طلال حيدر

الشاعر شوقي بزيع والشاعر طلال حيدر

وزير الإعلام اللبناني في حديث مع الشاعر طلال حيدر ويبدو من اليمين الفنان عبد الحليم كركلا

في حفل تكريمه بحضور وزير الإعلام اللبناني ونخبة من الشعراء والفنانين والأصدقاء

طلال حيدر بين حرية الكتابة ودهشة الشعر

بيروت ـ ليندا نصار*

إنها دهشة الشعر لكل المصابين بالإبداع والإشراقة الشعرية وتفتح أمام أعينهم عمارة الابتكار، حيث يعيد الشعر معنى الحياة إلى الذات الإنسانية بأفق مغاير على نحو جميل.

في هذه المناسبة، مناسبة تكريم الشاعر طلال حيدر، كنا أمام دعوة إلى حرية الكتابة مع قصائده، هناك يحق لك التأويل الذي يليق بدواخلك. إنه الصوت الذي مهما غاب به الزمان يبقى رجع صداه في نبضات عمالقة الفن اللبناني. والشعر هو حقنا في الحياة والتأمل في مكنوناتها متجسّدًا في الفنون الأخرى.

أن تكتب عن شعر طلال حيدر معناه أن تحفر لتنقّب عن ذهب الشعر، عن الإنسان والزمان والمكان والطبيعة بوعي وشغف.

تمكن الشاعر من تطويع اللّغة المحكيّة وأسعفته اللهجات التي استقاها من معاجم القرى البعلبكية ومن ثقافته المتنوعة، لتكون نواة الأغاني اللبنانية تراث الفن المحلي والعالمي الذي شهدت عليه أعمدة بعلبك وأرواح الرومانيين والحضارات كافة. هكذا يكتب طلال حيدر بحبر يستنطق الحجر والبشر فهو الشاعر الذي لم يترك المقصي والمهمش، بل صنع منه سياجاً إبداعياً أيضاً.

إنه صاحب أجمل كلمات تجلّت في الأغنية اللبنانية، وفتحت أفقًا شعريًا مختلفًا، وكانت شعرية الرؤى تندرج ضمن هذا الافق. نقول إنه صاحب اللغة الوطنية والشعرية، لأنها لغة لبنان ولهجته، بها دمج الصور وراح يتقلب من المحسوس إلى المجرد، قرّب الشعر إلى ذهن المتلقي سواء أمن جمهور الشعر كان أم من جمهور الفن.

حفظت الذاكرة اللبنانية حارسة التراث، كلمات كثيرة للأغنيات التي كتبها ولُحّنَت، وفيها ما لا يخفى عن اللبنانيين إنه سحر سهل البقاع وتأثيرات مناخه ومياهه وترابه الذي يتحكم في مزاج الشعراء.

هذا الحفل التكريمي الذي يستحقه طلال حيدر أعادنا بالذاكرة إلى طفولة كنا نصغي فيها إلى وديع وصباح، ما يدفعنا إلى مساءلة الفن اليوم في ظل التقنيات الحديثة، بعد أن كانت الأغنية تحتاج إلى فترة زمنية لتصبح بهيئتها النهائية.

توثق قصائده لتفاصيل الريف الذي عاش فيه ولم يتركه على الرغم من قسوة الحروب التي أصابت هذا البلد. تجده في مكان آخر يحمل معه بعلبك يبتدع لها معجمًا ثقافيًا وتراثيًا استمده من قلعتها وهو يسافر على وتد الشعر الثابت كأعمدة آثار هذه المدينة العظيمة: بعلبك الشعر.

تراه يرقص أمام أعمدتها، وفي ساحة النجمة ويقف وقفة تمثال الشهداء وخطواته قصيدة ومعه عبد الحليم كركلا صديقه الذي رافقه مسيرة عمر، ومارسيل خليفة الذي كان يجالسه وفيروز ووديع الصافي.

إنه الشاعر الذي بالرغم من حيويته وحركاته السريعة، يتمتع بهدوء يجعله ينصت إلى صوت داخلي ينقله من توترات الشعراء وقلقهم إلى مستقر أسطر القصيدة.

ماذا نكتب نحن جيل الشباب عن هذا الإرث اللبناني. نشاهد طلال حيدر وعمالقة هذا البلد في شبابهم وقد نشعر أنه ما زال أمامنا طريق طويل نحمل فيه رسالة الأدب والثقافة التي أمّننا عليها شعراؤنا الكبار.

طلال حيدر الذي قدم من ذاته للثقافة هو خليل الأوراح الشعرية صنع من تجاربه نصوصاً تبدع نفسها بنفسها ووقف مصغيًا إلى نداء الشعر، هذا الرجل، رجل ثقافة ومحبة لأنه عرف كيف يتعايش مع أبناء وطنه، أن يكون شعره جامعًا للبنانيين تحت شعار الفن.

عاش داخل ذاته وخارجها يستلهم من الشوارع فتات الشعر لتلقاه بعد فترة كلمات وألحان بهية على لسان «الصبوحة» وفيروز وماجدة الرومي ومارسيل خليفة ووديع الصافي وأميمة الخليل وغيرهم ممن كتب لهم طلال حيدر وأهدى إليهم خاتم القصيدة كما ذكرنا. كذلك لقد كان الشاعر صديق الكبار والصغار يصغي إلى الجميع سمته التواضع تلك التي لم تفارقه.

تجلس مصغيًا في مسرح كركلا في منطقة حرش تابت لبنان، تسابق الزمان وأنت تعرف أنها ما هي إلا مسافة فرح قصيرة وينتهي الحفل، تحاول أن تقبض على اللحظة، تحدق بحركة رفعت طربيه وروح الفكاهة في أثناء تقديم المكرّم وهو يذكّر طلال حيدر بلقائهما الأول كذلك شوقي بزيع وغيرهما. تنصت بعمق إلى عبد الحليم كركلا رمز الفن اللبناني الأصيل، كركلا الذي ما زال حتى اليوم يهتم بالفن ويقدم له أحسن ما عنده للكبار والصغار.

وماذا عن هنري زغيب الشاعر قريب قلب سعيد عقل الذي يذكره في كل مناسبة، تحدث هنري زغيب مصطلح الإبداعوغرافيا ومنحه لطلال حيدر واعتبر أنه بين طبقتي الزمان والمكان سيخلد طلال في الزمان، على أنّ الشعر مصنوع من المحسوس والمجرد هكذا طلال يجمع بين الأضداد لتأتي المفارقة صورة شعرية تستقر في أغنيات لحنها وغناها عظماء الفن في لبنان. هنري زغيب يرى أن الفن خالد والمبدع خالد أيضًا بينما السياسة تنتهي بانتهاء الولايات، هل سمعتم من قبل بالفنان السابق كما تسمعون بالوزير السابق؟

بالإضافة إلى كلمة وزير الإعلام زياد مكاري والفنان عبد الحليم كركلا وكلمة شكر لابن الشاعر المكرم، غاب مارسيل خليفة الفنان بل الكاتب الذي حالت عاصفة ثلجية في أوروبا دون حضوره فقد ترك كلمة بعنوان «بياع الزمان»، وتمحورت كلمة الفنان مارسيل خليفة حول بداية علاقته بصاحب المناسبة، وحديثهما عندما كان رفقة محمود درويش ومن ذلك اللقاء وعن شخصية طلال حيدر وشعره. يقول مارسيل: والقصيدة الوحيدة التي حفظتها منذ ذلك الحين هي حريته المطلقة .

ويعتبر خليفة أن الشاعر المكرم تارة يتحوّل إلى أب حنون يحكي عن أولاده بحب فائق ، وطوراً يحكي بشغف مارق عن عشيقاته في كل أصقاع الأرض وفي الوقت ذاته كان زوجاً مشغول البال ونهر الحب الجارف لشريكته في صمت القصيدة التي لم يكتبها بعد. ثمّ يسيل شعره بهيستيريا جنونيّة تفجّر أعمى ، لم يكن يقول الشعر ، كان هو الشعر بعينه ، كان قصائد لا تنتهي . ويذكر ما قاله له في آخر اللقاء قال له محمود درويش: "شو هالبركان هيدا" .

ويضيف الفنان والملحن مارسيل أنه من الصعب لمن لا يعرفه ، ولمن لا يراه يجلس ويشرب ويمشي معه أن يكوّن فكرة حقيقيّة عن شخصيته . يرقص عارياً كالغصن تحت الشمس بلا حياء وحتى الإغماء . يقهقه بفرح الوجود الكئيب وعندما يرقص يحوّل الوجود بركاناً ثائراً وأعجوبة . رقّص كل النساء من أجل غجريّة.

نبت كالشوكة في «بدنايل» وصار شجرة باسقة. تحرّر من قيود الله والعقل. ينزل تمزيقاً بالمحرّم ويشيّع العصيان. يحترف الكذب ويتسلّح بالشعر والحنين إلى المطلق .

شاعر حقيقيّ ، يتألم ويصرخ ويخيب . لكنّه لا يستسلم، لا يترهّل . أعرف بأنه يعبث به هواء الخوف وتتدحرج إلى جوانبه أوراق الغيظ والتعب والحزن ورغبة مهشمّة، مصلوبة في الحياة.. وبالشعر الرجاء رقيق تخنقه الوحشة ويجرحه الحنين من الحزن.

بطل بقاعيّ. مأخوذ شعره من المتسكعين والباعة المتجولّين والعاملين في الحقول الغامرة بالخير والبركة

بطل وصعلوك في آن حرّ حتّى الانتحار والجنون جاهليّ بدوي فولكلوريّ خرافيّ هجّاء ، مدّاح».

أما شوقي بزيع فقد ألقى كلمة بعنوان «شاعر النقاء الرعوي والتفتح المشمس للمجازات».

يقول شوقي بزيع في بعض من كلمته حول الشاعر المكرم:

«إذا كان الشعرُ العظيم هو الابنَ الشرعيَ للبداهة والموهبة وتمزقات القلب، لا ذلك الذي تُنتجه العقولُ والأفكار في معامل الحذلقة والتعسف التأليفي . فليس على المرء سوى العودة إلى كتابات طلال حيدر لكي يقفَ على الخلطة الأكثر نجاعةً للابداع، حيث الكتابةُ رقصٌ بارعٌ مع القيود، واصطيادُ ماكرٌ لبرق الرأس» .

ويتابع بزيع في جزء آخر من كلمته عن نشيد أناشيد طلال حيدر الجديد هذا، حيث تجد في الشعر معلقات على الريح، واحتفاءٌ بالمفقودات، يلقي طلالٌ على عاتق مخيلته الهَذيانية، مهمةَ التنقيب عن الدلالات الممحوة للحروف، التي تلبس حيناً لبوسَ يثربَ والأندلس وفلسطين، ولبوسَ الأنوثةِ الكونيةَ حيناً آخر. كما يظهر من جهة أخرى، وكأنه أورفيوسُ البقاعيّ الذي آثر التضحية ببعلبكِّ الواقع، لكي يخترع من عذاباته بعلبكَّ التخيل، حتى إذا شرعت أصابعُهُ الراعشةُ بالعزف على أوتار الفقدان، أصيبت الأشجارُ بالثمل، والصخورُ بالطراوة، والنجومُ بالحنين الدامع، فيما خرجت من أوكارها نسورُ القرنة السوداء، لتُدوْزِنَ تحليقَها على إيقاعِ كلماته.

ومع ذلك فإن الحرمانَ وشظفَ العيش لم يكونا الممرَّ الالزاميَّ للكتابة عند طلال حيدر، بل بدا شغفُه باللغة، جزءاً أصيلًا من شغفه بجمال الوجود، كما لو أنه مزيج غرائبيٌّ الطقوس، من عروة بن الورد وزرياب وعمر الخيام وغارسيا لوركا وزوربا اليوناني والرحبانيين وعبد الحليم كركلا .

بالنسبة إلى شوقي بزيع طلال حيدر وخلافاً لمعظم الشعراء العرب، لا نعثرُ في شعره على تفجعٍ كربلائيٍّ أو تلذذٍ مازوشيٍّ بالألم، بل ثمة فرحٌ بالوجود، يلاقيه في منتصف الطريق فرحُهُ باللغة، التي تبتعد عن الإنشاء السقيم والشروح المملة، لتتحلَّقَ حول نُواتها كما تفعل الينابيع، والتي لا حاجةَ بالشاعر لإيصالها الى الملأ، لأن الوردةَ لكي تؤدي الوظيفة المنوطةَ بها، لا تحتاج للذهاب الى أي مكان، بل يتكفلُ عطرُها بالمهمة، تماماً كما هو حالُ الشجرة مع الثمار، والنجمة مع التلألؤ الدامع، والبيوتِ مع الذكريات.

هكذا نجد لدى الشاعر القدرة على التقاط لحظة الإشراقة الشعرية المفاجئة التي تحمل طابعًا جماليًا عاليًا، وصنع عوالمه الخاصة، ومن الواقع والخيال، استلهم معجمًا تفاعلت فيه عناصر الطبيعة التي امتزجت بروحه وأثّرت في المتلقي. ■

*كاتبة، شاعرة وناقدة

جاد الحاج الذي هوى

رؤوف قبيسي*

يترك غياب صديق عزيز مرارة في نفوس محبيه، قدرها بقدر ما كان للراحل من مكانة في قلوبهم، وأعرف أن ما كان بيني وبين الصديق الذي أكتب عنه الآن، صفحات خاصة، بل خاصة جداً، من كتاب عمره وعمري: صداقة حميمة، عمّرتها الأيام على امتداد أربعة عقود ونيف، فيها تصادقنا وتآخينا، وبقينا على تواصل لم ينقطع، حيثما كان، وحيثما كنت. كانت بدايتها في لندن، في مجلة «الدستور» التي كان يصدرها الصحافي الراحل على بلوط، ثم في جريدة «المنار»، لصاحبها الراحل رياض نجيب الريس، وهاتان توقفتا عن الصدور، ثم جمعتني وجاد، مطلع التسعينات، سنوات طويلة في جريدة «الحياة» اللندنية، التي جيء بها إلى لندن، بعد توقفها عن الصدور في لبنان، بسبب الحرب الأهلية التي شتّتت الكثيرين من اللبنانيين في بقاع مختلفة من الأرض.

لم يبلغني نبأ رحيل جاد، إلا بعد يوم من وفاته، ولم يخفف أثر ما أحدثه هذا الرحيل في نفسي، إلا حين عرفت من الصديقة غيتا حوراني، أن جاد لم يمت في أستراليا بل في لبنان، ودفن في «قيتولي»، قريته التي في الجنوب، وقرية نسيبه الشاعر أنسي الحاج، وليس ذلك بأمر غريب، لأني كنت أعرف كم كانت «قيتولي» غالية على قلب ابنها المهاجر.

لم تغب عن باله، وظل مرتبطا بها بأمراس خفية من الشوق والحنين، ولا أنسى يوم كنت أزوره في أحد البيوت التي سكنها في إنكلترا، مشهد لوحة من الخشب، علّقها على جدار البيت من الخارج، وعليها اسم «قيتولي»، كأنه كان، عن وعي منه أو من دون وعي، يقدم لضيعته الحبيبة اعتذاراً عن غيابه القسري عنها، لكن كما لكل بداية نهاية، ها هو الشاعر قد عاد أخيراً إلى قريته، وفي خشب من نوع آخر!

كانت حياة جاد الحاج كحياة البدو الرحل. لم يثبت في مكان، وكان في كل مكان سكنه حطابا فأسه الأسى، كما كتب في إحدى قصائده، وصف أطلقه عليه الشاعر الراحل يوسف الخال، وكان جاد به متأثراً. حطاب مرتبط بالشجر والزهر والتراب كان جاد الحاج، وكان حيثما سكن، يزرع الأرض بالعشب والأثمار والخضار.

قبل رحيله بأيام، اتصل بي صديقي الشاعر صلاح فايق، المشرد في براري إنكلترا والفيليبين يسألني عنه، وكانت أخباره قد انقطعت عني. أعطيته رقميه، رقمه في أستراليا ورقمه في لبنان، وحين سألني عنه قلت له إني اتصلت به مرات عدة، ولم أتلق جواباً، وأعترف بأن شيئا من الخيبة أصابني من عدم رده، ولم أعرف السبب، إلا حين أخبرتني الصديقة غيتا أن جاد أصيب بمرض الزهايمر وبسرطان في الرقبة. كنت على علم بأوجاعه، لكني لم أقدّر أنه سيكون السرطان والزهايمر، وحين أخطرت الصديق صلاح عن رحيل جاد، كان وقع الخبر في نفسه كما هو في نفسي.

وعادت إلينا ذكرى لقاءاتنا في حانات لندن، رفقة صديقنا الراحل الياس منصور، وزوجته هدى المر، والراحل الآخر أنيس الطويل، هذا الذي لم تترك السيجارة شفتيه ساعة من ليل او من نهار، مثلما لم يتركهما الكأس الأحمر الداكن، الذي ما شاءه على الدوام، إلا أسكتلنديا معتقاً! وهل أنسى الفنان الصديق نبيل أبو حمد، والصحافي الراحل عدلي الحاج (شقيق الشاعر أنسي، ووالد زميلنا في الصحافة أنطوان الحاج)؟ وهل تُنسى تلك الوجوه، وتلك الفترة التي كانت من أجمل سنوات العمر.

أكتب هذه السطور وخواطر غريبة تساورني، عن نهارات وليال لا أعرف كيف أحصي عددها من شبابي، وشباب جاد «الشقي»، كما كنت أدعوه تحبباً، في فترات متقطعة من حياتنا، بدأ في لندن، ثم في اليونان في الثمانينات، حيث نزلت في بيته شهرا على ما أذكر، وكنت من رتّب له عملاً مع إحدى شركات النشر الكندية، بواسطة الصديق مصطفى الجندي، رجل الأعمال المقيم حاليا في إسبانيا، الذي كان تربطه صداقة مع ممثل الشركة في الشرق الأوسط. لم أعد أذكر اسمه، لكن أذكر أنه كان أرمنيا من لبنان، وأن المؤسسة كانت تنشر روايات بالعربية، مترجمة عن الإنكليزية، تحت عنوان «عبير»، وكانت وظيفة جاد الإشراف على نصوصها العربية.

سكنت وجاد في بيته في أثينا، وكانت معنا زوجته ريموندا قبل انفصال كل واحد منهما عن الآخر، ومع طفلتيهما رُبى ولورا الصغيرتين، وكنت أداعبهما وألاعبهما، وأفرح حين أرى بريق الفرح يلمع في عينيهما البريئتين. بقيت على تواصل مع جاد بعد ارتحاله إلى أستراليا، وخلال زياراته المتكررة إلى بيته في لبنان، الواقع على هضبة من هضاب قرية «سرعل»، في وادي «قنوبين»، أو وادي النساك، كما يعني الاسم في السريانية.

في بيته ذاك، كنت أزوره متى زرت لبنان، وفيه تعرفت إلى الدكتور نديم نعيمة، أبن أخ الأديب المعروف ميخائيل نعيمة، ومن حظي أن عرفت أشياء من الدكتور نديم عن عمه الراحل، لم أعرفها من سيرة حياته «سبعون». كان جاد يعرف حبي لثمرة التين الشهية، فكان يتصل بي لأزوره في «سرعل»، ويغريني بالقول بأن سلة من التين في انتظاري. لم اذهب إليه في السنوات الأربع الأخيرة، ولم يأت هو إليّ في شقتي الشتوية في بلدة انطاليا التركية التي كنت ولا زلت ألجأ إليها في فترات الأشهر الباردة في اوروبا، وكثيرة كانت المرات التي كان يعدني ويعد نفسه فيها بأنه سيزورني، وغاب من دون أن يأتي ذلك اليوم الموعود.

تلك سنوات خلت من أعمارنا، لا شيء بقي لي منها غير صور قليلة، منها واحدة يحمل فيها ابني الصغير آدم على ظهره، وبعض كتب ممهورة بتوقيعه، وأما ما بقي منه للناس فهو للناس، مئات من المقالات نشرها في غير مجلة وصحيفة، ومجموعة كتب وروايات وقصائد، تؤرخ حياة شاعر غريب نذر نفسه للغربة. كان جاد الحاج حسب قول صديقه الشاعر عقل العويط «شاعر حياة أولاً وأخيراً، كما شاعر ترحال ومناف، وشاعر أرض في الوقت نفسه»، أما أسلوبه فكان عذبا حميما، «أنتيم»، حسب قول صديقه الآخر، الناقد عبده وازن.

يودعنا جاد «الشقي» بشقاء، وداعاً أشبه بنسمة شجية من زمن ذهب ولن يعود. يترك في نفوس كل منا ذكرى ستبقى في خاطرنا مع تعاقب الأيام، وإلى يوم تأخذ السماء منا أمانتها كما يقول المؤمنون.

أهو التراب يفرض العزاء، أم هو حزن ينتابنا على صديق رحل؟ عزاء صادق هو على أي حال، إلى من هم أقرب الناس إليه برابطة الدم، ابنتيه ربى ولورا، وشقيقه نبيل في المهجر، وشقيقاته عايدة وشادية ودلال، المقيمات في أستراليا، وإلى زوجته السابقة ريموندا، وإلى كل من عرفه من أهل وأصدقاء ومحبين. ■

جاد الحاج

*كاتب وناقد لبناني

الشرق الأوسط الجديد... مسودّة لم يبهت حبرها

البروفسور نسيم الخوري*

ما المقصود بالشرق الأوسط الجديد؟ ما هي حدوده ومن هي شعوبه؟ وما المرتكزات الاستراتيجية القوية التي يتفرد بها وتكسبه هذا الثقل التاريخي في الذاكرة الدولية مجدّدةً تاريخ تلك الشهرة القديمة؟

بدا المصطلح متحركاً لم يستقر نهائياً لا في التاريخ ولا في الجغرافيا، وربما لن يعرف الاستقرار، لا في العقل واللسان الغربيين ولا في الترجمات العربية المرادفة له، ولا حتى في أبعاده الجغرافية ومفاعيله وتداعياته فوق الجغرافية الآسيوي ـ أفريقية.

من «الشرق الأوسط» أو«الميدل إيست» إلى «الشرق الأوسط الكبير» أو «الأكبر» و«الواسع» و«الأوسع» بل «الموسّع» كما نقرأ في التسميات الأميركية المستجدة، مروراً بالشرق الأدنى أو «المتوسطية الأوروبية» وفقاً لفرنسا والمانيا، تتغير الصياغات السياسية والجغرافية وتتباين الأفكار والرؤى لمنطقة تنبسط لتلقف الخرائط والمبادرات، لتضمّ الدول العربية وتركيا وإيران، و«إسرائيل» ودولاً في آسيا الوسطى وقد تتوسع لتضمّ باكستان وافغانستان ودول القرن الافريقي، بما يقلب تاريخ الشرق الأوسط.

جوهر الأمر خرط «اسرائيل» في قالب المنطقة الجديد. ولا يخفى ان استراتيجية توسيع التعريف الجيوسياسي يرمي الى جعل المنطقة خاضعة حكماً للحروب المحمولة المتنقلة عبر صراعات متعددة الأجناس والأطراف، وفوق «بحيرات» من النفط تؤمن الحركة في الغرب حتى 2070.

إننا مجدداً حيال رقصة الأمم فوق رقعة الشرق الأوسط الكبير المثقلة بالتاريخ الذي يستحيل معه الاستقرار.

كان الشرق الأوسط يغطي، مساحة 8 ملايين كلم2، من مصر حتى افغانستان شرقاً، يتوزع فوقها 16 بلداً عربياً واسلامياً تتفاوت بأعداد سكانها. نجد مئات الألوف يشكّلون دولاً مثل قطر والبحرين ليرتفع العدد الى المئة مليون مثل مصر وإيران. تبدو المساحة إذن موئلاً "لموزاييك" متنوع الإتنيات والمذاهب، ومحط أطماع دول كبرى الأمر الذي يراكم فوقها مجدداً تواريخ من الرفض والاحتجاج لشعوب عانت طويلاً من التقسيمات والتجزئة. لا أُغالي بالنظر إلى هذه الرقعة الجغرافية الواسعة بوصفها «بازل» سهلة التفكيك وإعادة التركيب بيّن منذ فجر التاريخ التجاري والصناعي بأعقاب أزمنة الحضارة المائية. ولأننا في نسغ تواريخ وحروب وتجارب إعادة التركيب التي يتقنها التاريخ لحاقاً ب"كبار الأمم"، يمكننا أن «نعلّم» بالأسود فوق الخرائط جزءاً تركياً ـ ايرانياً وهلالاً خصيباً وشبه جزيرة عربية تمسك بها مصر في شرقي أفريقيا، وكلها دول وشعوب تتفاعل وتفعل في عمر الحضارة منذ القدم. هذه البقع المميزة على تنوعها قد استحال خلطها أو محوها فجعلت الشرق الأوسط مثقلاً بنكبات التاريخ منذ القرن السابع ق.م. قبل ان تتقدم مهداً للديانات التوحيدية الثلاث، قامت في أرجائها الامبراطوريات الاولى لحضارات ما بين النهرين بين القرنين 4 و2 ق.م فصيغت الثقافات بل حضارات السومريين والساميين والحيثيين والحوريين إلى ثقافة النيل بعد توحد مصر الفرعونية منذ الألف 3 ق.م إلى الامبراطورية الاشورية فاعلةً بمعالمها الحضارية خلال الألف الأول ق.م. وترسّخ النيل والفرات رمزين منهما تنبع تكامل الثقافات والحضارات لتنهل شعوب فوق سطح الكرة مالا يستنفذ من المعارف والثقافات والأسرار.

كان يرفل هذا الغنى الطبيعي غنى أرضياً جاء بتفجّر البترول ما منح تلك البقعة الفريدة من الكرة الاهتمام، وتحفل المكتبات بالتفاصيل والقصص والدراسات في الشرق الأوسط البترولي الذي يشكل أبداً محط انظار العالم.

أكتفي بالإشارة الى ان دولاً معاصرة ثلاث كانت تلعب في ميدان سلامة النفط وتصديره ادواراً كبيرة هي السعودية ومصر وتركيا، مصر للمراقبة عند السويس وحماية ناقلات النفط، وتركيا محطة الترانزيت للنفط العراقي، بينما السعودية تلعب الدور الاكبر لتأمين الضخ والاشراف على مبيعات النفط من دول مجلس التعاون الخليجي. لكنّ الحماية باتت أميركية مباشرة، ويعمل في أطرها الكثير من الدول بعد سقوط بغداد.

وللإنصاف التاريخي، حصل أقوى معطى مع الحرب العراقية الايرانية (1980 ـ 1988) حيث تفجر الاحتقان سائداً على ضفاف الخليج بين شعبين تأسسا على الصراع عبر التاريخ، وخصوصاً مع توطيد الثورة الإسلامية إيران. (1979) لطالما شكلا شط العرب وكازاخستان حافزي الصراعات بين البلدين منذ القرن 18. كان نهر دجلة (204 كلم) الذي يرسم الملامح الحدودية بينهما على امتداد 105 كلم، وهو نهر تاريخي قديم، سياسي وثقافي يفصل بين الامبراطوريتين الفارسية والعثمانية او بين عالمين عربي وآري أو ما بين طائفتين اسلاميتين سنية وشيعية حوّله البترول مجرى مائياً تُعقد فوق مياهه التبادلات الدولية في ميادين الطاقة.

وللتذكير أيضاً، خرجت الدولتان الايرانية والعراقية منهكتين في العام 1988 من الحرب وبرعاية الأمم المتحدة حتى عاصفة الصحراء التي اسقطت اسطورة العراق وحوّلت رقعة الشطرنج الشرق أوسطية سياسياً واستراتيجياً تجهيزاً لمتغيرات كبرى في الخرائط الحدودية، فتحركت أحلام الشيعة في جنوب العراق والأكراد في شماله بعد انكفاء العراق من دون ان تفضي الاحداث الى أي اعادة نظر جغرافية.

أسأل اليوم: أين العرب اليوم حيال تجدّد لعبة البازل مع التذكير أن الحجر الأول المنقول في اللعبة الخطيرة حصل أو جاء عبر إسقاط بغداد؟

أنشهد بداية نضوج ما يعرف بالشرق الأوسط الجديد عبر سلسلة من التحولات العسكرية والسياسية والاستراتيجية تحت مظلة واسعة من صراع الوثائق والنصوص وخلال تلهينا وتقاذفنا المُتجدد عرباً بالتسميات والمسودات والوثائق والمشاريع؟

تبدو المنطقة أمام تداعيات حروب متنقلة لا آفاق نهائية واضحة.

ويطلّ مشروع الشرق الأوسط الجديد مجدّداً لكأنّه مسودة لم يبهت حبرها وهي غير محدودة بزمان أو مكان، بمضامينها المطاطة التي تجعل من يتابعها على الأرض بأنها وهمية أو شكلية عملياً إذ يغيرون بعض التعابير والفواصل لكأنّ واضعيها لم يحققوا إنجازات وانتصارات، لكنّها لعبة الأمم بال puzzle في عصر عربي بقي يتمطّى بين الرفض الوهمي والقبول والتوفيق والحروب، لكأننا مجدداً أمام ملك الفرنجة والإمبراطورية الرومانية المقدسة شارلمان الكبير بين الأعوام 800 و814. ■

كاتب لبناني وأستاذ مشرف في المعهد العالي للدكتوراه.
* عضو الهيئة العليا للإشراف على الإنتخابات في لبنان
drnassim@hotmail.com

أشعار التعمية... تكلّف أم إبداع؟

لندن: د. حسين رشيد الطائي

من واقع الحال ان الانسان له حالتان ظاهريه وباطنية؛ الأولى تسمى المظهر والثانية تسمى الجوهر. ولأن الانسان يعيش بمظهره أكثر مما يعيش بجوهره غلب عليه طابع المباشرة فأصبح يتعامل مع الذوات والأشياء المحيطة به تعاملا مباشرا لا يكلّف فيه جوهره. لأنه يميل الى السهولة واليُسر ويبتعد عن التكلّف والتضنّي. والجوهر طالما تلازم مع العقل. ولذلك من غلب عليه جوهره واستعمل عقله في كثير من أمور حياته ومعيشته كان شديد الملاحظة والتركيز ويهتم بأمور لم يلحظها غيره.

واذا أسقطنا هذا المبدأ على الفنون الأدبية والعلمية والفكرية وجدنا أن من يسير عليه وُصف بالفيلسوف والمفكر والمبدع. ولذا لو قرأنا كتب الفلاسفة والمفكرين لاحتجنا الى تركيز عالٍ وتفكيرٍ طويل من أجل أن نفهم كُتاباتهم وأفكارهم.

ومن بديه القول ان كل ما كُتب باستخدام العقل كان كبيرا وواضحا وعالي القيمة بغض النظر عن فحواه وصحته.

ولذلك يميل بعض الأدباء والشعراء والفلاسفة وغيرهم من أرباب الفن والأدب والعلم الى استخدام العقل والجوهر. ومن أجلى صور هذا الاستخدام مأ أطلق عليه بالألغاز والأحاجي ومصطلح (المعمي) الذي شاع في الأدب سواء في الشعر أو النثر.

واللغز وجمعه ألغاز؛ أصله الحفرة الملتوية يحفرها اليربوع والضب والفأر بشكل مستقيم لأسفل ثم يحفر الى الجانب طريقًا وفي الجانب الآخر طريقًا وكذا في الجوانب الأخرى؛ فاذا أراده أحد من طريق التجأ لطريق آخر.

وقد شاع اللغز عند العرب حتى أن السيوطي قسمه لانواع منها ما قصدته العرب، ومنها ما قصدته أئمة اللغة، ومنها ما قالوه من الشعر فصادف ان يكون لغزا. إلّا ان أكثره ما كان لغزا في معناه، ولذلك أطلق على الشعر من هذا النوع (أبيات المعاني)؛ لأنها تحتاج إلى أن يُسأل عن معانيها ولا تُفهم من الوهلة الأولى سواء من حيث اللفظ أو التركيب أو الإعراب.

والتعمية لغةً هي الإخفاء ومنه تعمية الأخبار عن العدو أي إخفاءها.

وجاء في لسان العرب تحت مادة (عمي): وعَمِيَ عليه الأَمرُ: التبَس ومنه قوله تعالى: (فعَمِيَتْ عليهِمُ الأَنباء يومئذ). والتَّعْمِيةُ: أَنْ تُعَمِّيَ على الإِنْسانِ شيئًا فتُلَبِّسَه عليه تَلْبِيسًا.

والمعمّيُّ فن أصيل الصنعة، قال الأدباء والمؤرخون أن الملاحن والألغاز والأحاجي هي منه في الأصل، وأنّ بعضها أعان عليه، وبعضه أعان عليها.

ومن اسماء المعمّى أو اللغز، كما يقول الحظيري في (الإعجاز في الأحاجي والألغاز) (المعاياة) و (العويص) و(اللغز) و(الرمز) و(المحاجاة) و(أبيات المعاني) و (الملاحن) و (المرموس) و(التأويل) و(الكناية) و (التعريض) و(الإشارة) و(التوجيه) و (المعمى) و(الممثل) والمعنى في الجميع واحد. اما الاختلاف فبحسب اعتباراته؛ فإذا اعتبرته مغطى عنك سميته (معمّى) من العمى، وإذا اعتبرته سترا عنك سميته مرموساً، من الرمس (القبر) الذي يُخفي جسد الميت، وإذا اعتبرته يحتاج لتأول سميته (التأويل).

على أنّ ابن نباته يذهب الى ان المعمي في عصره سمي (المترجم). على ان الخليل هو أول من استخرجه عندما وضع العروض. قائلا ان بعض كتب اليونان وصلت اليه فقرأ الخليل كتابا بلغتهم ففهمه فجعله أصلًا ووضع (المعمي).

واستمر حال المعمي امثلةً متفرقة حتى قال فيه الجاحظ (هو ليس بشيء قد كان كيسان مستملي أبي عبيدة يسمع خلاف ما يقال، ويكتب خلاف ما يسمع ويقرأ خلاف ما يكتب، وكان أعلم الناس باستخراج المعمي؛ وكان النظام على قدرته على أصناف العلوم لا يقدر على استخراج أخف ما يكون من المعمي).

ومن الأقوال الأخرى ان المعمي وقع بيد الأعاجم فدونوه واستنبطوا قواعده وجعلوه فنا من الفنون الأدبية والعلمية. وأن أول من فعل ذلك شرف الدين علي اليزدي الفارسي صاحب (تاريخ ظفر نامه) فعرف بأنه الواضع له.

والمعمى في الأصل قول تُستخرج منه كلمة فأكثر بطريق الرمز والإيماء يقبلها الذوق السليم، لكن يشترط فيه أن يكون له في نفسه معنى وراء المعنى المقصود.

وقد فرّق العلماء بين اللغز والمعمي بقولهم (ان الكلام إذا دلّ على اسم شيء من الأشياء بذكر صفات له تميزه عما عداه كان ذلك لغزًا، وإذا دل على اسم خاص بملاحظة كونه لفظًا بدلالة مرموزه سُمي ذلك معمي).

ومن أمثلة المعمي في الشعر؛ قال أحدهم في الكمون:

يا أيها العطار أعرب لنا
عن اسم شيء قَلَّ في سَوْمِكَا
تنظره بالعين في يقظة
كما ترى بالقلب في نومكا

وقد ورد عن العرب أمثلة كثيرة في المعمي الذي شاع منذ عصر ما قبل الإسلام كقول أبي دؤاد الإيادي:

رُبَّ كلبٍ رأيته في وثاقٍ
جعل الكلبُ للأمر جمالا
رُبَّ ثورٍ رأيتُ في جحر نملٍ
وقطاةٍ تحمل الأثقالا

ويعني بالكلب (الحلقة التي تكون في السيف) ويعني بالثور (ذكر النمل).

وورد أيضا ان أبا مقدام الخزاعي قال في معمي له:

وعجوزٍ أتت تبيع دجاجا
لم يفرخن قد رأيت عضالا
ثم عاد الدجاج من عجب الدهر
فراريج صبية أطفالا

وقد عني بالدجاجة (الغزل) فهي اللفافة المغزولة التي تخرج عن المغزل، اما الفراريج فهي (الأقبية).

وليس ببعيد قول الفرزدق في المعمي:

ومستمنح طاوي المصير كأنما
يساوره من شدّة الجوع أولقُ
دعوت بحمراء الفروع كأنها
ذرا رايةٍ في جانب الجو تخفقُ
وإني سفيه النار للمبتغي القرى
وإني حليم الكلب للضيف يطرق

وكان الجاحظ يكثر التعجب والاستحسان من قوله (سفيه النار وحليم الكلب).

ومن الأمثلة المشهورة التي أوردها السيوطي التي وقع اللغز فيها تركيبا أو لفظا أو إعرابا قول أحدهم:

أقول لعبد الله لما سقاؤنا
ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

ويعني أقول لعبد الله لما سقاؤنا وهي (أي ضعف) ونحن بهذا الواد شمٌ، أي: شم البرق عسى يعقبه المطر.

ومنها ما يقع على طريق السؤال والجواب كما حصل مع امرئ القيس؛ وحاصله أن عبيد بن الأبرص لقي امرئ القيس فقال له: كيف معرفتك بالأوابد؟ قال: ألق ما أحببت، فقال عبيد:

ما حبة ميتة أحيت بميتتها
درداءَ ما أنبتت سنّاً وأضراسا

فأجابه:

تلك الشعيرة تُسقى في سنابلها
فأخرجت بعد طول المكث أكداسا

ولا بد لنا أن نذكر ان المتأخرين على وجه الخصوص وُلعوا بهذه الألغاز ابتداء من القرن السابع الهجري فزادوا فيها وفرّعوها وأحسنوا اليها أيما إحسان؛ فأضافوا الإشارة إلى الملغز به بالتصحيف والقلب والحذف والتبديل وما أشبهها مما هو من صناعة المعمي، وجمّلوها بالتورية.

قال أحدهم يصف قلما:

وذي خضوع راكع ساجد
ودمعه من جفنه جاري
مواظب الخمس لأوقاتها
منقطع في خدمة الباري

والأمثلة من أنواع الألغاز كثيرة في كتب الأدب، أما ألغاز النحاة والفقهاء وأهل الفرائض ومن ينتحلون الحكم والفلسفة فأكثرها مشهور.

إلّا أنّ أقدم الأحاجي التي وصلت الينا أحجية لهند بنت الخس التي أدركت المتلمس أحد حكام العرب المعروفين وكانت ساجعة متبذلة تحاجي الرجال. وكانت أحاجيها تبين قوة البداهة والإمكانية. وأحاجيها عرفت بالتحدي مع الطرف الآخر.

قيل ان رجلا مرّ بها فسألته المحاجاة:

فقال: كاد. فقالت: كاد العروس يكون الأمير

فقال: كاد. فقالت: كاد المنتعل يكون راكبًا.

فقال: كاد. فقالت: كاد البخيل يكون كلبًا، وانصرف، فقالت له: أحاجيك، فقال: قولي.

قالت: عجبت. قال: عجبت للسبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها

قالت: عجبت. قال: عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها

ثم أفحمها بكلمة بذيئة فخجلت وتركت المحاجاة.

ومن الابداع في المحاجاة ان الحريري صاحب المقامات المعروفة ابتدع نوعًا من المعمي استعار له اسم الأحجية؛ وهو أول من اخترعه وسماه كذلك ونظم منه في المقامة السادسة والثلاثين عشرين أحجية، وقال في علة ذلك إنها (لامتحان الألمعية واستخراج الخبية الخفية وشرطها أن تكون ذات مماثلة حقيقية وألفاظ معنوية ولطيفة أدبية فمتى نافت هذا النمط ضاهت السقط ولم تدخل السفط).

وذكر عبد القادر البغدادي صاحب (خزانة الأدب) انه من أجلّ التصانيف المؤلفة في الألغاز والأحاجي كتاب (الإعجاز في الأحاجي والألغاز) لأبي المعالي سعد الوراق الحظيري، قال: وهو كتاب تكل عن وصفه الألسن، جمع فيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين.

ولا بد ان ننوه الى أن موضوع الأحاجي والألغاز من أقل الموضوعات تناولاً في البحوث. وذلك قياساً للدراسات الأدبية الأخرى التي اهتمت بالأمثال والحكايات والسير الشعبية.

ولكن في العصور المتأخرة بدأ الاهتمام بهذا النوع من الفنون؛ فقد ألف بيرم التونسي كتابا بعنوان (فوازير رمضان)، ونشر جمال مشعل كتاب (حديقة الألغاز) بمجلدين. وفي السودان ألف عبد الله الطيب كتاب (الأحاجي السودانية)، وفي الكويت ألف محمد رجب النجار)الغطاوى الكويتية.. دراسة موضوعية وفنية). كما نشر معجماً شاملاً بعنوان (معجم الألغاز الشعبية في الكويت). وفي المملكة العربية السعودية ألف عبد العزيز الأحيدب كتابه (الممتاز من الأحاجي والألغاز من عربي فصيح وشعبي مليح). وفي العراق حفلت مجلة التراث الشعبي ببعض الدراسات المهمة في الألغاز منذ نهاية الستينيات. كما ألف يونس السامرائي كتاب (الأحاجي والألغاز في سامراء).وكذا في المغرب العربي وغيرها من البلدان العربية التي اهتمت بدراسة هذا النوع من الفنون الأدبية والعلمية وأهمها (قاموس الأحاجي الشعبية المغربية) الذي وضعه أحمد زيادي وكتاب (أطيب الأحاجي والأمثال من أفواه النساء والرجال) لعبد الحي بنيس.

إن فن المعمي والأحاجي والألغاز كان ولا يزال من الفنون الأدبية المهمة شأنه شأن باقي الفنون الإبداعية. لأن المناط فيه أن الأديب يستطيع من خلاله أن يستخرج إبداعاته وإمكاناته اللغوية والبلاغية والعقلية والفكرية بما يبهر به السامع. وهو في حقيقته نمط من أنماط المحافظة على اللغة والتراث كونه يحافظ على التراكيب اللغوية والمعاني البلاغية الإبداعية. وان الظاهر ان قائله والمتمرس فيه لا يتكلف كثيرا ولا يتضنى كونه يمتلك ناصية الأدب واللغة والبلاغة والفصاحة.

ومن هنا قد يصبح هذا الفن الأدبي المميز مهماً في عصرنا الحاضر كوننا ابتعدنا عن الأدب واللغة وفنونها كثيرا.

وهي دعوة صادقة لإحياء هذا الفن الأصيل واخضاعه لضوابط الأقدمين صونا للغة وحماية لها من الاندثار وسط رواج لغات أعجمية كثيرة. ■

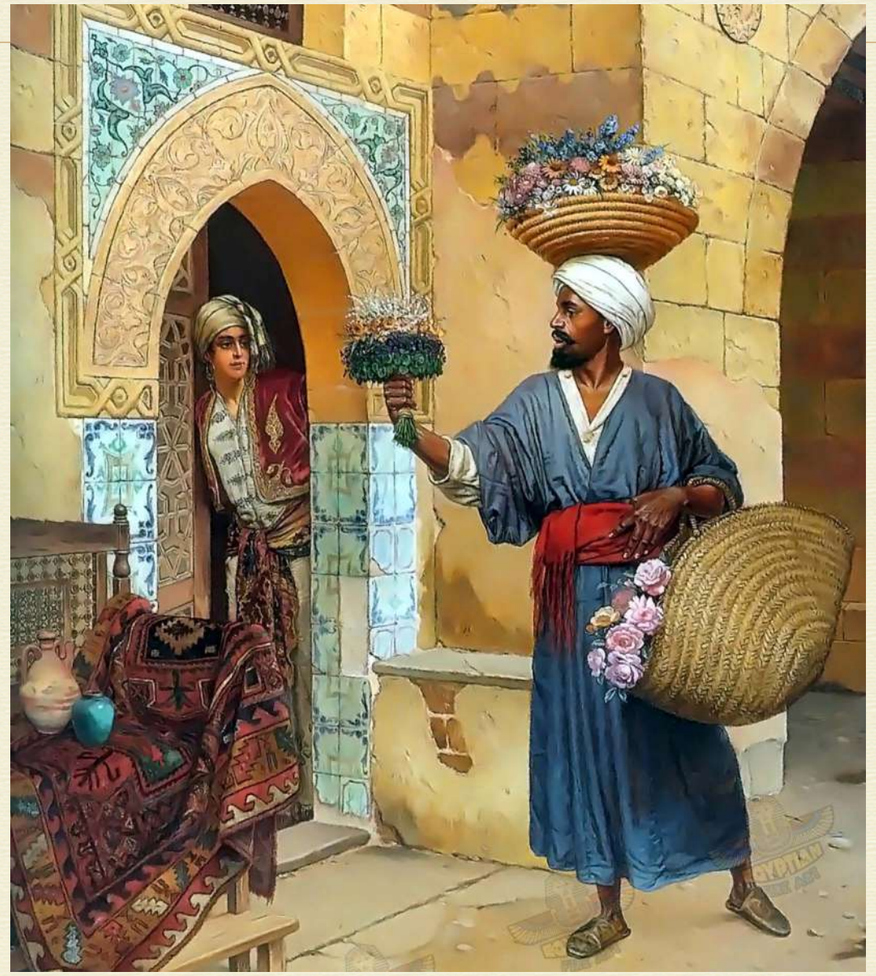

رجاء بن عمار... النباشة بالمسرح الزياح

(إلى داريو وفرانكا وفاقا الفاتنين بالحياة والذكرى)

بيروت ـ عبيدو باشا*

ناظرت رجاء بن عمّار الموت دون خوف. لم تتعامل مع الموت كصفية من أصفياء الله. ولا كولي من أوليائه. لم تنذر نذور النجاة. لم تفتح القواميس لكي تشخص اسماء الموت الأخرى . إنه الموت ، تلك الدائرة. ما أن تنتهي حتى تبدأ من النهاية من جديد . حين أراد أحد رجال الدين أن يضع الشرطة النهائية، أي العلامة النهائية على صعيد علاقة الإنسان بالله، لم تفعل سوى أن أشاعت نفسها. أشاعت نفسها أمام الجماعة على القناة التلفزيونية التونسية. أشاعت نفسها لله كامراءة، لا ضحية. تقدم النفس هدية لله. إلا أنها تقدمها ، بعيدة من مآسي التقديم بمحمولاته الدينية. النبع هو الله. لم تتشتت أمام النبع. إلا أنها وجدت باحات الحلم بالله. لم تعتمد الصياغات اللغوية المخففة، إذ قالت أن الله منظارها .

لا أزال اركز على مشهد السجال بين بن عمار ورجل الدين. لأنه مشهد يختصر الواقع المأزوم بين حق بالحياة ولا حق رجل الدين بمصادرتها . استفز الكلام المتواتر رجل الدين. أضحى متوتراً كماء مسفوح . هدؤها هدوء دخان سيجارة . لا أزال اذكر ، لأن بن عمار لم تتقصد ، استفزاز الشيخ . لم ترغب بدفعه من متن كلامها إلى هاويتها. ولكنها لا تأنس لكل أنواع المصادرة. لا بالإرشاد ولا بالدفع ولا بالمحاصرة . هذه سيدة لا تحاصر . لم تخشه كما لم تخشَ رجلاً بعينيها الصقريتين . لن تغيب في كلام رجل . غير أنها لم ترغب بأن يرشدها ، كما يرشد رجلٌ إمرأة ، لم تفتح رجاء بن عمار عينيها على بهارج المسرح، لأنها مسرحية دؤوب على نبش ما لم ينبشه الآخرون .

نبش السماء من الأرض .نقبت المرأة بقلبها وعينيها بأرض المسرح. وجدت ، إذاك، علامات لا تعوض. بلوغ الرقص وبلوغ المسرح. لم تفكر مرتين وهي ترسل دم الرقص بدم المسرح. لن تعجز عن تأمل المشاهد القديمة. لن تعجز عن القفز فوق إشارات المسارح والمشاهد القديمة. اندفعت بقوة رصاصة خلف الأصوات الهاتفة في أذنيها ، بعيداً من المراوحة بين اللغات. بعيداً من المراوحة بين اللهجات . قوة منظومة رجاء بن عمار عظيمة. سوف تلقي التحية على المسرحيين السابقين . غير أنها لن تكرر ما وجدوه لا يعوض، بأزمنتهم السابقة. لن تجد بالتجارب القديمة إلا بعض القصص المروعة.

ترك القلب عهداً في حياة رجاء بن عمار. أن تئن ، أن تستنفد قواها من علة بالقلب ، منذ الطفولة. إلا أن سيدة ضد الرخص الجاهز ، لن تقبل الترخيص بتهديد القلب بالموت، ما دام القلب يمسح بخفقانه الظهر والصدر. لم تخف من الموت ، إذ جمعت الدمع والوجع في قاع حياتها . هكذا كلما أشتعل الوجع على المسرح، نهش حضورها الذئبي الوجع و كل عتماته .غلب الوجع عهود جسدها. لم يغلب عهود روحها. وجد الجسد ذاته في هبوب أوجاع القلب. لم يته الوجع عن الجسد . لذا ، غطس الجسد بمائه .

لم تخرج رجاء بن عمار عن وظائف التأسيس الإجتماعي مذ تكرست صورة المرأة بكامل الحقوق منذ عهد الحبيب بورقيبة. أفراد أحرار لا أتباع. المسرح وسيلة في خدمة الغاية، في خدمة الغايات. تهورات فلسفية تبعها الأمل الدائم ، بعد أن سارعت المخطوطات الصفراء إلى تأكيد أن بناء الكون انتهى عند مجموعة من الأسماء سدت النقص بالمسرح بالذوبان في رغبة الحصول على ما ينقص المجتمع . زكي طليمات ويوسف وهبي وجورج أبيض وحسين رياض ونجيب الريحاني وعلي الكسار ومارون النقاش وأبو خليل القباني ويعقوب صنوع وعشرات الأسماء الأخرى.

وجدت بالتجارب التونسية والعربية السالفة ، خرائط من التعثر والعيش في مجال الأخلاق المسرحية المجلدة. غير إعادة انتاج الأيديولوجيات الجاهزة ، بعيداً من الخيارات والإستنتاجات . لم تفتح رجاء بن عمّار الأقواس ، حتى تلم عجين المسرح الجديد. بدأت مع "المسرح الجديد"، مع الفاضلين الجعايبي والجزيري ومحمد ادريس وجليلة بكار وتوفيق الجبالي وغيرهم . عمّرت معهم أوديسة المسرح الجديد. بعدها ، لف بعضهم حضورهم بالتجربة بحيث أضحوا عابرين فيها . إذ اختار كل احتفاليته. لن تصادف السيدة البحر ، لأنها البحر. كل موجة فيه تصطحب سيرة جديدة من سير المسرح. لا ضباب أمام البحر. حيث راحت ، تخطو في كل خطوة، لا خطوة الشخص، خطوة السلالات ، منسابة كمياه الدالية . ذلك أنها شققت بجسدها حيطان المسرح ، حين ارتقت بالجسد إلى مرحلة القيامة، بعد أن تنفست المسارح القديمة الكلام والخطابة والإنشاء والتجويد والإدغام .

لم تلعب رجاء بن عمار على أريكة. لا مسند على مسرحها. لا حبكة بمسرحها. بمسرحها لا ذروة. إذ لا تقوم الدراما ، بمسرحها، إلا من خلال المونولوغ الدخلي بين جسدها وروحها. مونولوغات تعكس الأحلام والأوهام والهواجس والرؤى والأسس الجديدة على الأشكال الجديدة. إمراءة كقلم رصاص ، يدور بمبراة. كلما دار تروس . كلما دار قصر عمره. واحدة من أفراد الجنس الهالك. المسرحيون.لم أرها ، بالمرة الأولى ، على خشبة المسرح. حيث وجدت شجرة مشتهاة . شجرة من الرغبات. جسد شجرة. جسدها زادها. جسد لم تجففه شمس ولا أحداث. جسد لا يصدق نفسه إلا وهو يدور كالقلم بالمبراة. عينٌ ساطعة على المنصة. مهبط الأشعة . كل شيء هادر في جسد الممثلة / الراقصة ، من حرف الكاحل إلى حرف الأذن. جسد يمتلك الإحساس بالمصير الإنساني، التراجيدي، المفجع . شقاء وبؤس البشر. هؤلاء من يبددون طاقاتهم جرياً وراء المسائل التافهة.

رجاء بن عمار :
المسرح الزياح

بين الشعر الجسدي والنقد الفيزيقي، أوصدت رجاء بن عمار أبواب الكلام على الفصول الإيروتيكية بالرقص العربي، حين فتحت المجالات اللغوية الموصدة على كل المناهج التعبيرية الجديدة بالعالم. الرقص، في مسرحها، عقرب أسود. نط فوق منحدرات ، فوق عقم الجسد في قبور المسرح العربي القديمة. لم يعنِ هذا أن السيدة ، إذ صاغت قيمها الجديدة بالمسرح ، لم تتعلق بهويتها . لم تقف عند مراحل العودة ، غير أنها لم تخشَ من خسارة الهوية سلفاً. لم تراوح تجربتها الجريئة أمام مواقف ثلاثة لا تزال تهيمن على العقول بالعالم العربي بكل المجالات . التمسك بالتقاليد ورفض الحداثة الوافدة من الغرب. والحداثة الرافضة للتراث باتهامه بأنه علة التأخر. الروح والممارسات الإصلاحية. أو الإحتفاظ بالقيم الأساسية المميزة التراث والمكونة هويته وإضافة بعض معالم الحداثة عليها. لا طلب للهوية طالما أن الهوية بالقلب ، بالجهاز العصبي ، بالقلب.لا استدعاء لوسائل الحداثة ، لأن الحداثة لا تقوم على الوسائل ولا ردات الفعل. لا إصلاح ، ذلك أن رجاء بن عمار اعتبرت أن حاجاتها الأساسية، بعيدة من الإصلاح والإصلاحيين . الرقص برق، الرقص رعد. الرقص جهازها. جهاز العروس.

رقص كرقص شخصيات شاغال في سماواتها. رقص يبري الصمغ، بحيث يتقفى الراقص طيرانه في رقصه. رقص وصال. رقص محشود بالكودات ولحظات العزلة ، بعد الوصال وارتداد الأنفاس إلى كل ما لا علاقة له بالعقم. الآداء الراقص، الدرامي، زوجها وولدها وحفيدها. رقص يجهر بحياة الجسد، بحياة المسرح. تروي شهرزاد هنا، بجسدها. شهوة الكلام لا تغيب . غير أن الكلام ، مهووس بالرحيل إلى بحر الجسد، بحر المسرح. بوفيه غموض (عنوان مسرحية لمايكوفسكي). بوفيه أذونات سفر إلى كل مدهش، بموهبة، كرست صاحبتها، بطرق عنيفة. طرق ضد الحذلقة، ضد السخافة. هزت شجر التنويط القديمة ، حين عجنت الجسد بطنين اللغة الجديدة. جسدها كوزموسها. قوة العبور من الحصارات المادية والروحية إلى حضورات لم تهدف إلى رسم الحدود بين الأشياء والبشر والعناصر. نظام جديد لم يرغب بالإنتصار بالتخطيط. لا تركيبات جاهزة. ثورة حرة لا تمتلك أشياء جاهزة تحميها من الآخرين . قدرة فذة على عرض المشاعر العنيفة والقوية بعمق يشدد على أهمية تماسك الأشياء والأدوات والأجساد والأرواح. حين تتماسك العناصر ، هذه يصعد ماء المسرح الشفاف، يستوي على عرشه الحقيقي. أغرق الماء الشفاف الكثير من إشغال رجاء بن عمّار. لا أزال أمام جنون «ساكن في حي السيدة» حيث يدور الجسد بفراغ المسرح، لكي يداري محنة الفراغ. سيدة الدراما والآداء الدرامي الراقص، اتقدت وهي تجهر بأن بلا جسد لا مسرح. جسد حي، مسرح حي. لا شيء يشي بالغدر ولا الخفوت . ذلك أن بن عمّار لم تلعب يوماً إلا على نوافذ القيامة لا على قواعد القبور. لا علاقة لمسرحية «فاوست» بالنعاس. لا نعاسها ولا نعاس المشاهدين. لا كلام أجوف ولا مشاهد يلطخ فيها العجب المسرح بالمجان. لا تكلح مسرحية عندها، لأنها ترسم مسرحياتها كما يرسم النحل أمبراطوريته.دراماتوجيا كضياء لا يصاب بالخجل أمام العتمة. هنا، يسافر الجسد على النوتات لا على مروج الطرقات العادية، بعد أن استدرجت المسرحية التونسية الرقص إلى جسدها بحيث أضحى واحدة من علاماته الفارقة. علامات تتجدد كلما خرج الجسد من الغرف العادية. لا معاجم جاهزة في التجربة الخاصة بها. لا قواميس . كل قديم بائد ، عندها. كل نغمة قديمة نشاز. كل خطوة راقصة متكررة، خطوة نتنة كل مسرحية جديدة، مسرحية جردة للقديم ، في خط لم يتلوَ، حتى حين جابها الوجع من وجع القلب ووجع الإتهامات الظالمة . اتهامات في أن ثمة ظلال كثيفة ، لمسرحيات عالمية في مسرحياتها. هذه امرأة صدى طفلة، تلاعب المسرح بعناقات جميلة، بعيداً من الفلكلور. أصالة وجاذبية. أصيلة وجذابة، تزود مسرحياتها (مع شريكها المنصف الصائم) بالطلات الذكية والتشويق.

المسرح روح لا بناءات . المسرح روح لا صرعة. لا توالد أزياء ولا لحاق بإشعاعات المتبوع المصبّر . صعّدت نبرة الكلام دائماً، لكي تؤكد أمامي ، أن الإنشقاق عن المسرح الطلياني لا يكفي اذا لم تنفخ في رئة المسرح الأنفاس الحديثة.اطمأنت رجاء بن عمار إلى ما سمته «المسرح الزياح». إذ تخففت من أرض موت الحداثة المرفوعة على الجبانات الشكلية والنيوطليعية المراوغة. لم تهدأ، وهي تتعرض للكثير من محاولات الإغتيال، من مصادرة مدار، حقلها الممغنط على جسدها الثائر، إلى حصار الحفر الأخيرة. كتبت نصاً عن العراق، بجنوح الأوضاع الضاري هناك. لم ينفذ ، بالرغم من الإتفاق مع الفاضل الجعايبي على تنفيذه. لعبت بالمسرح والسينما (عصفور السطح...). غير أنها لم تقرب التلفزيون. حافظت على مسافة حاسمة مع انتاجاته. ملكة السينوغرافيا، المعجبة غير المهومة بتجربة «الليفنغ تياتر» مع جوليان بك وجوديث مالينا، جنحت عما بها منذ أعوام . انتقمت من كل التحشيدات السابقة، بقيم صدمها المعروفة. تفلتت من درف التبويب بالموت. حملت موسيقاها وأضواءها وملابسها وديكوراتها إلى العالم الآخر. الفنانة الشجاعة، غادرت على صهوة الغيم ، بعد أن قاسمت الرفاق الماء والخبز والجنون والحكمة. لم تثر غباراً حين مضت. مرت حية من الحياة إلى الموت. نصر بعد نصر. ذلك، الموت نصر بالأوضاع الحالية. ثماني سنوات على الغياب. كل شهر بحر من الذكريات المضيئة. ■

*كاتب ومسرحي

المغرب: هل الأمر يتعلق بتجويد الخدمات أم تقليص النفقات والتراجع عن المكتسبات؟

توحيد أنظمة صناديق التغطية الصحية والضمان الاجتماعي

سعيدة شريف*: المغرب

خلف إعلان الحكومة المغربية عن دمج الصندوق الوطني لمنظمات الاحتياط الاجتماعي، المعروف اختصارا بـ «الكنوبس» في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي cnss، جدلا كبيرا بين النقابيين والموظفين وعموم المواطنين، بين متفائلين بهذا التغيير الذين رأوا فيه توحيدا يشمل جميع الموظفين سواء في القطاع العام أو القطاع الخاص، وتعميما لتوفير الخدمات الصحية لجميع المنخرطين تنزيلا للورش الملكي المتعلق بالحماية الاجتماعية لكل المواطنين، وبين رافضين له جملة وتفصيلا، وذلك لأنهم سيخسرون الامتيازات الخاصة في التغطية الصحية والتقاعد التي كانت متوفرة للمنخرطين من نظام «الكنوبس»، لأن الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي لا يغطي إلا نسبة 70 في المئة من كلفة التطبيب للمنخرطين فيه من القطاع الخاص، ناهيك عن الكثير من النواقص التي تؤثر بشكل كبير على ضمان التغطية الصحية الشاملة للمواطنين، وتمكينهم من الضمان الاجتماعي والاهتمام بصحتهم وحتى بتقاعدهم بالشكل المريح الذي يضمن لهم العيش بكرامة.

ويأتي قرار الحكومة المغربية بدمج الصندوقين من أجل تنزيل مقتضيات القانون الإطار (09-21) المتعلق بالحماية الاجتماعية وضمان نقل اختصاصات الصندوق الوطني لمنظمات الاحتياط الاجتماعي والتعاضديات المنتسبة إليه المتعلقة بتدبير نظام التأمين الإجباري الأساسي عن المرض (AMO) في القطاع العام إلى الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، من أجل توحيد تدبير نظام التأمين الإجباري الأساسي عن المرض، وتتميم القانون رقم "65.00" المتعلق بالتأمين الإجباري الأساسي عن المرض قبل إحالته على الغرفة التشريعية من أجل التصويت عليه.

وبعد نقاشات وتأجيلات، صادقت الحكومة يوم 7 نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، على مشروع قانون رقم (54.23) بتغيير وتتميم القانون رقم (65.00) المتعلق بالتأمين الإجباري الأساسي عن المرض، الذي يقضي بدمج الصندوق الوطني لمنظمات الاحتياط الاجتماعي في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، والذي يهدف، حسب بيان للحكومة، إلى اعتماد هيئة تدبير واحدة لأنظمة التأمين الإجباري الأساسي عن المرض من أجل ضمان تسيير أكثر كفاءة وتجانسا لأنظمة التأمين الصحي، وتسهيل حصول جميع المواطنين على الخدمات الصحية، وهو الأمر الذي لا تنظر إليه العديد من النقابات العمالية والموظفين بعين الرضا، لأنها ترى فيه إجهازا على العديد من المكتسبات للمؤمنيّن والمؤمنّات وتفريغ صناديق التقاعد، وإجحافا في حق الطبقة الشغيلة بالمغرب، حيث نظمت العديد من النقابات ومن ضمنها الكونفدرالية الديمقراطية للشغل مسيرات احتجاجية في مختلف المدن المغربية لمناهضة هذا الدمج بين الصندوقين ومناهضة مشروع قانون الإضراب، الذي تتوخى من ورائه الحكومة "تكميم أفواه الطبقة الشغيلة" ومنعها من المطالبة بحقوقها والاحتجاج على أوضاعها المتدنية بسبب غلاء المعيشة وبسبب السياسات العشوائية والقوانين التي تمعن في القضاء على الطبقة المتوسطة بالمغرب.

فهل دمج الصندوق الوطني لمنظمات الاحتياط الاجتماعي في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي سيعمل على تجويد الخدمات أم سيقلص النفقات فقط وسيؤدي إلى التراجع عن العديد من المكتسبات؟

20 سنة من التغطية الصحية

وفي تقييمه للتغطية الصحية المعمول بها في المغرب ومدى ضمانها الكرامة والأمان الصحي والحماية الاجتماعية للمواطن، يقول الدكتور عبد القادر طرفاي الكاتب الوطني للنقابة الوطنية لقطاع الصحة التابع للكونفدرالية العامة للشغل في تصريح لمجلة «الحصاد»، إن التفكير في التغطية الصحية على المستوى الشامل والإجباري الذي يهم جميع المواطنين بدأ مع بداية تسعينيات القرن الماضي مع العاهل المغربي الراحل الحسن الثاني الذي دعا في خطاب العرش لعام 1999 بتوسيع وتعميم التغطية الصحية لتشمل جميع المواطنين المغاربة. ومنذ ذلك الوقت قدمت عدة سيناريوهات ومشاريع قوانين لتنزيل هذا المشروع، واستمر هذا النقاش إلى غاية عام 2002، حيث انتهى البرلمان المغربي من التصويت على قانون (65.00) الذي هو بمثابة مدونة التغطية الصحية الإجبارية.

ويوضح الدكتور طرفاي أن هذه التغطية الصحية «أخذت بالاعتبار كل مكونات المجتمع سواء الموظفين أو الأجراء أو المواطنين الذين يشتغلون بالقطاع الخاص والحر، والمهنيين الحرفيين، كما راعت وجود فئات من المواطنين ضعيفي الحالة والذين لا يستطيعون مواجهة مصاريف العلاج، فكان القانون يشمل التغطية الصحية الإجبارية ثم نظام المساعدة الطبية، وهو النظام الذي كان يعرف بالراميد (RAMED)، لأن الهدف من تعميم التغطية الصحية كان هو ضمان كرامة المواطن للوصول إلى العلاج دون اللجوء إلى التسول أو الاقتراض سواء من البنك أو العائلة أو الأصدقاء أو اللجوء إلى جمعيات خيرية من أجل الحصول على علاج غالبا ما يكون جد مكلف، لأن الحصيلة التي كانت في بداية التسعينيات شملت أقلية من الموظفين الذين تمتعوا بتغطية صحية في إطار تعاضديات تدخل ضمن الصندوق الوطني لمنظمات الاحتياط الاجتماعي، أو شركات ومقاولات كبرى كانت تضمن لأجرائها التغطية الصحية عن طريق شركات التأمين، ومع ذلك كانت تلك النسبة قليلة جدا، فهي لم تكن تتجاوز 50 في المئة من الموظفين. أما الباقي فكان يجهل تماما هل هناك تغطية صحية فعلا وماذا يجب العمل لضمانها».

ولهذا كان من اللازم وضع مدونة للتغطية الصحية الإجبارية لضمان كرامة المواطن وأمانه الصحي، وهو تفكير إيجابي، حسب الدكتور عبد القادر طرفاي، يجعل البلد يسير في الاتجاه الصحيح وإرساء قواعد أساسية للحماية الاجتماعية الحقيقية، أي أن المغرب انتقل من مرحلة سالفة كانت فيها قلة قليلة من مكونات المجتمع هي التي تستفيد من التغطية الصحية، حيث عرفت مدونة التغطية الصحية التي دخلت حيز التطبيق عام 2005 تعميما للتغطية الصحية وحماية اجتماعية لكل المواطنين. وأصبح كل الموظفين مشمولين بتلك التغطية، وأصبح جزء كبير من الأجراء يتمتع بها أيضا، ولأول مرة أصبح الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي مدبرا للتغطية الصحية الإجبارية، أي تغطية مصاريف العلاج والخدمات الصحية بالنسبة إلى أجراء القطاع الخاص، وهذا تحول إيجابي مهم رغم مجموعة من الإشكالات المطروحة.

من النظام الاختياري إلى الإجباري

غير أنه بعد ذلك تم الانتقال من نظام اختياري، حيث كانت الأكثرية لا تستفيد، إلى نظام إجباري حيث أصبح الكل يستفيد سواء كانوا موظفين أو أجراء، أو عاملين بالقطاع الخاص، فأصبحت فئة عريضة من أجراء القطاع الخاص يستفيدون، وأصبحت فئة عريضة أكثر من الفقراء والمحتاجين تستفيد

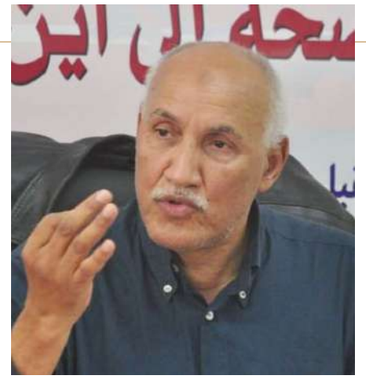

د. عبد القادر طرفاي/ النقابة الوطنية لقطاع الصحة

داخل نظام المساعدة الطبية، ولكنها تعثرت فيما بعد لأن ذلك النظام لم يطبق بنفس طريقة مدونة التغطية الصحية، كما أن الجماعات المحلية لم تف بالتزاماتها تجاه الوكالة الوطنية للتأمين الصحي ولم تؤدِ ما عليها لضمان تمويل المستشفيات التي تقدم العلاجات للمواطنين في إطار «الراميد»، حيث أصبحت هذه الفئة تمتص إمكانيات المستشفى العمومي دون أن يتمكن هذا المستشفى من تغطية هذه المصاريف. وهنا أصبحنا أمام إشكال عويص وبدأ حديث عن وجود بدائل لتطبيق نظام «الراميد» للفئات المحتاجة. في حين أن نظام المساعدة الطبية، كما يؤكد عبد القادر طرفاي الكاتب الوطني للنقابة الوطنية لقطاع الصحة، «فكرة جيدة في فلسفته لو طبق، ولكنه للأسف تعثر، وهذا في نظري هو منطلق التفكير في وسائل أخرى لتمويل هذه التغطية الصحية بالنسبة للمستفيدين من نظام المساعدة الطبية. بمعنى أن الدولة والجماعات المحلية لم تقم بهذا المجهود، حيث لم يكن هناك تفعيل للنصوص القانونية لتطبيق نظام المساعدة الطبية. وبالتالي تم إلحاق المستفيدين من نظام المساعدة الطبية بصندوق الضمان الاجتماعي فيما بعد، وهنا يطرح سؤال كيف سيتم تغطية تكاليف التغطية الصحية لهذه الفئة العريضة التي يناهز عددها 12 مليون من المواطنين الذين هم في حاجة إلى التغطية الصحية؟ وكيف سيتم تمويل هذا الصندوق لتغطية احتياجات هذه الفئة؟ خاصة أن هناك من يستفيد ومن لا يستفيد، وفي مرحلة تكون حقوق الاستفادة مفتوحة وفي مرحلة أخرى تغلق، وهو ما يدل على صعوبة أجرأة مسألة إلحاق المستفيدين من التغطية الصحية بالصندوق الوطني للضمان الاجتماعي».

فبعد عشرين سنة من تجربة أجرأة التغطية الصحية الإجبارية عن المرض، ما زالت هذه المنظومة تعرف العديد من المشاكل وعلى رأسها ارتفاع مصاريف التغطية الصحية بسبب غلاء الأدوية والمعدات الطبية والتكنولوجية، ورغم تقديم الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي للحكومات المتعاقبة الكثير من المطالب لمراعاة الوضعية الصعبة التي تعرفها التغطية الصحية، وحل الصعوبات المالية وضمان استمرارية التغطية الصحية، ومراقبة أثمنة الأدوية بالمغرب جد المرتفعة مقارنة مع دول أوروبا، خاصة إذا ما تمت مقارنتها مع الدخل الضعيف للمواطن المغربي، فإن الوضع ظل على ما هو عليه، وكان لارتفاع أثمنة الأدوية تداعيات على إفراغ مدونة التغطية الصحية من روحها التي هي ضمان كرامة المواطن للحصول على العلاجات الضرورية.

البحث عن التوازنات وتقليص التغطية

نظرا للصعوبات المالية التي عرفتها صناديق المعاشات ومنها الصندوق المغربي للتقاعد بالمغرب، وضمان استمرارية توازنات هذا الصندوق المهدد بالإفلاس، تم رفع سن التقاعد من 60 إلى 63 سنة في حكومة 2017، وتمت الزيادة في الاقتطاعات على المعاش وتم تقليص نسبة التغطية. السيناريو نفسه كان سيطبق في التغطية الصحية، حيث كانت الزيادة في الاقتطاعات أو في المساهمات وتقليص نسبة التغطية الصحية ستخلق مشاكل عديدة واحتجاجات لا قبل للمغرب بها، لهذا فإن دمج الصندوق الوطني لمنظمات الاحتياط الاجتماعي في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي وإحالة كل المؤمنيّن فيه من موظفين في الوظيفة العمومية ومستخدمي المؤسسات العمومية والمتقاعدين على نظام هذا الصندوق، هو حسب رأي النقابي عبد القادر طرفاي، تصفية للكنوبس وتقليص في نسبة التغطية التي كانت في هذا الصندوق بمئة في المئة إلى 70 في المئة المعمول بها في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، ورفع الدولة يدها عن هذه التغطية الصحية وضمان تحقق هذه التوازنات من جيوب المواطنين.

فعوض أن يتم رفع نسبة التغطية الصحية في الضمان الاجتماعي، ويعاد النظر في سلة الخدمات حتى تتحقق المساواة بين الصناديق، ويكون هناك توحيد في اتجاه الرفع، كما يقول طرفاي، يأتي إدماج الصندوقين بهدف التقليص في التغطية الصحية وفي المعاشات، حيث سيصبح المعاش داخل الضمان الاجتماعي الذي يعتمد نظام السقف وليس النسبة، وهذا السقف محدد في 4400 درهم كمعاش .

ويخلص طرفاي إلى أن هذا «الإجراء ليس اجتماعيا، بل إجراء يغلب عليه الطابع الحساباتي، ترفع فيه الدولة يدها عن أهم شيء ألا وهو الحماية الاجتماعية، ولا ترغب في أن تقوم بمجهود في التمويل، لأن هناك دول متقدمة تضمن فيها حكوماتها توازنات الحماية الاجتماعية سواء في التغطية الصحية أو المعاشات. بينما نرى أن التوجه الآن في المغرب ينحو نحو المقاربة الرأسمالية المتوحشة التي لا تراعي الجانب الاجتماعي وتفتقر إلى النبرة الاجتماعية، حيث يكون فيها كل شيء على حساب المواطن.».■

*إعلامية وكاتبة

في ذكرى المهندس حسن فتحي

اول من نادى بالعمارة الخضراء... صديقة البيئة

لندن: أمين الغفاري*

هو اسم بارز في عالم المهندسين المجددين، حيث قام بدورلافت في تطوير فن المعمار، الذي لا يقع فريسة لمقاييس الجمال فحسب،ولكنه ايضا يعطي التفاتا هاما ومثيرا، لدواعي الصحة والبساطه،في اطار تكاملي. يطلق عليه الكثيرون في مصر لقب (شيخ المعماريين) تقديرا لدوره، واحتراما لمنهجه في صياغة فن جديد في عالم المعمار،يهتم بقلة التكاليف امام الطبقات الدنيا لكي تنعم بمعمار جديد يلبي احتياجاتها.

ومن جانب آخر فهو أول من نادى بالعمارة الخضراء، صديقة البيئة، وكان ذلك في فترة الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي، وخرج بذلك بما اصطلح على تسميته بعد ذلك (عمارة الفقراء)، ومن خلال التطبيق والممارسة،تم اكتشاف الكثير من الأيجابيات في هذا النموذج من الفن الرفيع لصياغة هذا النوع من الفن المعماري (الصالح للجميع) وليس للفقراء فحسب ،فهو فن قادر في نفس الوقت على مواجهة التغيرات المناخيه العنيفه التي يعايشها العالم،وبذلك اصبح مجالا لسعادة الكثيرين سواء الفقراء، أوغيرهم من الطبقات الأجتماعيه. يكمن سر هذا الأبداع في الغوص في فك طلاسم البيئة وكشف اسرارها، وبالتالي في حسن استخدام موادها، والأستغلال الأمثل للخامات المحيطة بها .لذلك نجده قد لجأ الى ماده أوليه تتمثل في (طمى النيل) في صناعة الطوب،واعداده من جانب آخر لكي يستخدمه ك(مونه) للبناء.خاض تجربته في صعيد مصر، ولكنه وجد في نهاية الأمر مشكله يتلاقي على ارضها علمي الأجتماع من حيث البيئة وطبيعتها،والأقتصاد من حيث الدخل وترتيبات الحياة .

بدايات مشروعه المعماري

بدأ (المهندس حسن فتحي) مشروعه كنموذج مثالي لفلسفته حول (عمارة الفقراء) وقد نجح بالفعل في خلق نموذج جديد في فن البناء المنخفض التكاليف،وبلغ تأثيرهذه المبادرة أن انتقل صداها الى الولايات المتحدة ،فقد استعانت به (جامعة شيكاغو) لطرح أفكاره على طلابها،وهناك أصدر كتابا باللغة الأنجليزيه يستعرض فيه فلسفته في البناء والتشييد بعنوان (عمارة الفقراء) عام 1970، وقد ترجم هذا الكتاب لاحقا الى اللغة العربيه ،كما تمت ترجمته الى لغات أخرى وأصبح هذا الكتاب ضمن مناهج التدريس لدي العديد من كليات الهندسه في الكثير من دول العالم.

اعتمد نمط (العمارة النوبيه) والنوبه أحد الأقاليم المصريه،وتقع في جنوب مصر وشمال السودان، وترجع تسمية النوبة الى كلمة نوب، وهي باللغة المصرية القديمة، وتعني الذهب، اعتمد نمط تلك العماره بسماتها من (قباب) و(قباوي) في تحقيق معادلة السكن البسيط التكلفه، وفي نفس الوقت يوفر حياة آمنه تكفل مع الرخص منظومة الصحه حيث انها تساعد في تخفيض درجات الحراره الداخليه بنسبة تصل الى حد 15% ويرجع ذلك لأعتمادها فتحات (القباب) لتمرير الهواء البارد ،وتوفير مصادر الأضاءة الطبيعيه.

لكن السؤال: كيف عرج المهندس حسن فتحي الى التفكير في هذا النوع من المعمار؟

كان المهندس حسن فتحي يتمتع بولع الأستكشاف في نمط جديد من العماره، يلبي احتياجات الطبقة رقيقة الحال ،وكانت تمثل السواد الاعظم من الشعب المصري،فقد برزت خلال النصف الاول من القرن العشرين، الى حد مؤثر ظاهرة الفقر والحفاء للطبقات الشعبيه، خصوصا في الريف المصري والى حد ان الخطاب الرسمي المتداول لأي حكومة جديده في مصر ،كان رئيس الوزراء حريص كل الحرص على الاشارة الى هذا التعهد بالقول نصا (وسوف تعمل حكومتى على مكافحة الحفاء). لذلك عمل هذا المهندس الشاب (حسن فتحي) على ترجمة هذه الفكره الى واقع وأخذه ذلك المنحى في البحث الى التوجه الى مدينة (أسوان) وهناك رأي حلمه يتجسد في هذا النوع من المعمار ،في العمارة النوبيه وعلى وجه التحديد في قريه تدعي (قرية الكوبانيه) وهي تقع في منطقة غرب النيل. هناك التقي بضالته وهو (المعلم علاء الدين مصطفي)، حيث كان منزله مشيدا من قوالب الطين (اللبن) بنظام (القباب) ذات الأسقف الدائريه. كان التصميم بسيطا، ولكنه شديد الأثاره في التكوين.

وكانت تشكل الهاما للمهندس الشاب الحالم بمعمار مختلف يلبي حاجات الطبقات الصغيره، وقد انبهر بهذا القالب من المعمار. أقبل المهندس حسن فتحي على التعرف بهذا الرجل التلقائي في التصميم البسيط في مظهره، البارع في التشييد والابتكار بما يحقق الحاجة الى سكن والى بساطه في التكوين بما يلبي احتياجات المواطن المحدود الدخل، ولم يكن ينقصه الا علم المهندس وخياله الطليق ،لكي يضيف الى تلك البساطه مراعاة الصحة والتنظيم. توثقت العلاقه بين المهندس الواقد و الباحث مع الأسطى المعلم علاء الدين ،بحيث حيث قام باعادة بناء هذه القرية القديمه (القرنه) التي تقع في حضن الجبل في البرالغربي لمدينة (الأقصر) في صعيد مصر، وهي تنسب الى شكلها ،فهي في تكوينها تأخذ شكل قرن الحيوان، في القمه الهرمية التي تعلو (وادي الملوك).

ولذلك جرى تسميتها، بهذا الأسم. كانت قرية مهجوره تبعد حوالي مائة متر الى الشرق من معبد (سيتي الأول)، وقد جرى هجرها، ولا يعيش فيها احد ويشير بعض الباحثين مثل (ايزابلا فرانسيس) الى ان اعادة التوطين بدأت في أواخر اربعينات القرن التاسع عشر. ثم جرت عملية بنائها باسم (القرنة الجديدة) بواسطة المهندس حسن فتحي في أربعينيات القرن العشرين وأوائل الخمسينات لاستيعاب السكان، ولكنهم للمفاجأة، وجدوا أمامهم مقاومة شديدة من الأهالي أزاء فكرة تسكينهم فيها .القرية في اصولها القديمه عباره عن سلسله من المساكن التي بنيت في الكهوف الجبليه،وحولها تقع على بعد 200 متر شمالا منطقه يطلق عليها (رامسيوم) وتعني المعبد الجنائزي (للملك رمسيس الثاني) يتولى أمرها الشيخ (عبدالقرنه) وقد كانت هذه الأرض هي ساحة المعركة المريرة بين أصحابها الأصليين والحكومة المصرية على مدى سنوات طويله، لأنها تقع على قمة منطقة أثريه وهي جزء من مقابر النبلاء فيما مضي من التاريخ القديم، ويرى الباحث (إدوارد وليام لين) أن السكان انتقلوا إلى هذه الكهوف من قرية القرنة القديمه التي تركوها، عندما تراجع المماليك في المنطقة، بعد هزيمتهم من قبل قوات محمد علي في أوائل القرن التاسع عشر. تتكاثر في تلك المناطق مقابر الفراعنه، وبالتالي اعمال الحفر، والاكتشافات، ومعهم بالتالي الكثير من المغامرين الباحثين عن الكنوز، وكذلك تجار الآثار.

لماذا رفض الاهالي السكن في هذه القرية الجديده؟

في تصريح أدلى به المؤرخ الأثري (فرنسيس أمين) ان المستندات الحكوميه الرسميه تؤكد (ان مصلحة الآثار المصريه) قد قامت بالصرف على انشاء هذه القرية النموذجيه لسكان قرية (القرنه القديمه) بعد شيوع سرقة الآثار آنذاك بصرف مبلغ مائة ألف جنيه من عام 1945 حتى عام 1951 حيث تم بناء 83 منزلا في القرية الجديده بالأضافة الى بناء مسجد، ومدرسة أوليه، ومدرسة صناعيه ومدرسة بنات، وسوق تجاري، ومسرح، ودوار للعمدية (مركز لعمدة القرية)، وقد أنشئت القريه لأستيعاب سبعة آلاف مواطن من مناطق المقابر الفرعونية بالبر الغربي لإنقاذها من السرقات والتعديات عليها، وخصوصاً بعد أن اكتشف المختصون وعلماء الآثار سرقة نقش صخري بالكامل من أحد القبور الملكيه ، فصدر ذلك القرار بتهجيرهم من المقابر وإقامة مساكن بديلة لهم، وخصصت الدولة ميزانية محدودة لبناء تلك القرية الجديدة، (القرنه) وقد تم اختيار الموقع ليكون بعيداً عن المناطق الأثرية وقريباً من السكك الحديدية والأراضي الزراعية علي مساحة خمسين فداناً.

تم شراء الفدان بمبلغ ثلاثمائة جنيه مصري، هنا تتضح المشكله بأبعادها، فسكان القريه القديمه في اعلي الجبل،امامهم ثروة ضخمة من الآثار الفرعونية، وتشكل مصدر دخل اساسي لهم ، ويحلم الكثيرون منهم بأن يكتشف معبدا او منزلا لأحد الأثرياء القدماء، ويكون بمثابة كنز كامل ،وليس مجرد قطعه أو عدة قطع أثريه،بالأضافة الى المغامرين من هواة الاكتشافات للكنوز المخبأة، وكانت تلك التماثيل في نظر الأهالي، ومفاهيمهم ويشيرون اليها بكلمة (المساخيط).

وهناك بجوار منطقة الأهرامات، في الجيزة قريه اسمها (نزلة السمان) وبعض سكانها من الأثرياء من خلال تجارة الآثار، ولذلك رفض الأهالي السكن اساسا لقربهم من مصادر عملهم الأساسي وهو التجاره في الآثار،وهم يقطنون في ربوعها والقلة منهم من خلال تعلقهم بالنشأة والميلاد ،والحياة التي يألفونها. ظلت (القريه الجديده) بلا سكان، لسنوات وبالتالي تعرضت للكثير من عوامل الاهمال.

وتوحدت عوامل متعددة للنيل من تلك الفكرة التي دعا اليها المهندس حسن فتحي. اولا : تأثير المياه الجوفيه،بعد بناء السد العالي مما اضعف المقاومه لدى البنايات وصلاحيتها للبقاء .ثانيا:الاهمال في عمليات

صوره تعكس الطبيعه في قرية حسن فتحي

اصبح يشكل له ذراعه الأيمن في حركته، وتجسيد افكاره واحلامه

قرية (القرنه) ومشكلتها

بدأ (المهندس حسن فتحي) مشروعه المعماري في عام 1946

الترميم،بما يكفل تأمين البنايات ضد الأنهيارات. ثالثا زيادة عدد العائلات الشاغله للمساكن بفعل الأنجاب والحاجة الى بناء ملحقات للمنازل. رابعا: التكدس السكاني تحت التزايد في عدد السكان، والحاجة الملحة للمزيد من البنايات ذات الشقق المتعددة ،مما استوجب بالضرورة الأعتماد على الطوب الحجري ،والحديد المسلح لبناء وحدات متعددة الطبقات .

عودة للأهتمام بقرية حسن فتحى التراثيه

في اطار الاهتمام المتزايد بالتاريخ المصري،وتراثه على مر العصور،كان لابد من العودة لتلك القرية التي شهدت ميلادا جديدا لفن العماره /وهي قرية (القرنه) فبعد مضي عقود من الأهمال عبر الزمن، جاءت تلك الصحوة بالعناية بها ،وتم وضع خطة ذات ثلاث مراحل ،وبدعم من (اليونسكو). تتضمن المرحلة الأولى ترميم مبنى الخان ،وهو مبنى لأستراحة القوافل، أو المسافرين ،وترميم الجامع، بينما تتضمن المرحلة الثانية ترميم مبنى مسرح القرية ومسكن حسن فتحي وإعادة تأهيل سوق القرية، وتتضمن المرحلة الثالثة ترميم دار العمودية وإعادة تأهيل الميدان العام ورفع كفاءة الطرق. ويقول المهندس رامز عزمي استشاري المشروع، إن العمل انتهى بالكامل بالمسجد والمسرح والخان وهي المباني الأكبر بالمشروع ليعود المسجد لإقامة الشعائر بعد أن تم ضمه للأوقاف فيما تم إسناد مهمة أدارة المسرح للهيئة العامة لقصور الثقافة بوزارة الثقافة ليعاود نشاطة باستقبال الفعاليات، فيما يدرس جهاز التنسيق الحضاري الجهة المشرفة على المشروع تحويل الخان الملحق بالقرية لمركز فني لإقامة ملتقيات نحت أو مراسم أو سمبوزيوم للفنانين. وتابع المهندس عزمي قائلا أن أعمال الترميم شملت دعم الأساسات وحقن التربة ودعم الحوائط، وأنهينا مشكلة المياة الجوفية التي كانت السبب الرئيسي في تهديد مباني القرية وتصدع حوائطها ،وذلك بالعودة للطرق الفرعونية بعمل خندق ذو منسوب منخفض لتجميع المياة الفائضة من الزراعة والمتجمعة أسفل المباني وهذا كان الحل الأفضل لوقف التدهور.

صوره تعكس الطبيعه في قرية حسن فتحي

وزيرة الثقافة السابقه ايناس عبدالدايم

وتم استخدام مواد بيئية بالكامل واستعادة المواد التي استخدمها حسن فتحي في تشييد قريته بإعادة إنتاجها بنفس الخامات، وفي موقع العمل وقمنا بهدم التعديات والحوائط الخرسانية والطوب الأحمر التي ألحقها البعض ببعض مباني القرية.على جانب آخر قال المهندس عماد فريد استشاري المشروع (استغرق العمل في الترميم نحو عام وثلاثة أشهر وبالرغم من جائحة الكورونا إلا أن العمل لم يتوقف وسط إجراءات احترازية مشددة، وذلك بمشاركة مجموعة من أمهر العمال المتخصصين في عمارة حسن فتحي رائد العمارة البيئيه.

واستطرد فقال يتبقى العمل في المرحلة الثانية في السوق وبوابتين ومنزل حسن فتحي وهو الأكثر تأثرا بالتدهور ويحتاج لتدخل عاجل، والجدير بالذكر أن قرية حسن فتحي كانت تضم 70 منزلًا ومسجد وخان ومسرح وعانت طويلًا من الإهمال، رغم كونها تراث عالمي يخضع لاتفاقيات اليونسكو وتمّ وقف أعمال ترميمها في 2016، بعدما تمّ الكشف عن أعمال ترميم خاطئة طالت المباني باستخدام مواد أسمنتية وطوب أحمر يتعارض مع الفكرة الأساسية لرائد العمارة البيئية (حسن فتحي) باستخدام مواد طبيعية تحافظ على البيئة وتتميز بالاستدامة وقلة التكلفة مما هدد بخروج القرية من قوائم اليونسكو.

يقول غيث فريز مدير مكتب اليونسكو الإقليمى للعلوم فى الدول العربية وممثل اليونسكو لدى مصر، أن المشروع متميز وأصبح موقع تراث لليونسكو منذ عام 1971، والحفاظ عليه يخلد الفكرة والفلسفة التى جاء بها حسن فتحى، وهى (فلسفة عمارة الفقراء) باستعمال المواد المحلية بشكل متوازن بيئياً، مؤكداً على أن منظمة اليونسكو مهتمة بالقرية ووفرت تمويلا قدره 750 ألف دولار لدعم المشروع، بالتعاون مع مهندسين مصريين من تلاميذ المهندس العظيم حسن فتحى لترميم قريته. ثم ترتكز الفلسفة المعماريه لدى هذا المهندس النابه حول (ضرورة الاعتماد على عناصر البيئة المحلية في تشييد أي بناء معماري، ولا يعتبر حسن فتحي العمارة مجرد مأوى فحسب، وإنما أيضا تعبيرا حيا عن وجدان الإنسان، وتلبية لرغبته المستمرة في الانتماء واكتشاف النفس، والميل الغريزي للخلق والإبداع، وهو من أنصار ومؤيدي (فكرة التحاور الثلاثي الرائع بين العمارة والطبيعة والإنسان، وأهمية تكاملها وتعاونها على أثراء وإخصاب وإنعاش الحياة، وإضفاء طابع جمالي وأبعاد روحية عليه) .

حسن فتحي من مواليد مدينة الاسكندريه عام 1900 وقد رحل عن دنيانا عام 1989 تخرج من كلية الهندسة جامعة فؤاد الأول (القاهره الآن) . عادت القرية مزارا سياحيا بعد افتتاحها بواسطة وزيرة الثقافة السابقه ايناس عبدالدايم في 15 ديسمبر عام 2021. ■

*كاتب وصحافي مصري

وقفة الحائر أمام ركام وطنه

محمد علي فرحات

كيف بأيام معدودات تنهار دولة وجيشها وتختفي نُخبها الحاكمة؟ هذا ما حدث في سورية ودخل أكثر فأكثر في دائرة الغموض. ولا تشفع في التوضيح معلومات غير دقيقة عن التأثير المباشر التركي في تدمير النظام العسكري الأسدي الذي كنّا نتوهّم رسوخه.

قيل إنها إرادة أميركية وأوروبية، وإنها مصلحة إسرائيلية مباشرة، أو إنها فرصة لتخفّف روسيا من أعباء متعاظمة للدفاع عن نظام سوري لم يعد يحظى بثقة موسكو. وقيل من باب المبالغة إن ذلك النظام أصيب بالجنون فحطّم نفسه فيما يشبه انتحار نزيل في مستشفى الأمراض العقلية. وتتردد أقوال بأن حالة ضجر غريبة أصابت السوريين جميعا عدا مجموعة من البشر المصفّحين بأوهام دولة دينية غالباً ما تصنعها دوائر استخبارات معدومة الضمير. هؤلاء البشر كانوا متسلطين على إدلب وجوارها فامتدت سلطتهم الغرائبية على الدولة كلها وعلى معظم المواطنين.

ولا أحد يشرح للناس ما حدث ويقنعهم بكيفية انهيار الدولة واختفاء نخبتها الحاكمة، إذ فجأة تتسلم الحكم ميليشيات ترعب المسلمين قبل غيرهم، وأول أهدافها تشكيك المواطن المسلم بإيمانه المعهود لمصلحة شعارات تهدف إلى تدمير أرواح المسلمين قبل غيرهم.

هكذا في سورية يستعيدون الماضي مشوّهاً، أما في غزّة فقد صلب الشعب نفسه أمام العالم، وقل إنهم صلبوه بإرادة منه، ليؤكد وجوده كشعب في وطن اسمه فلسطين. ومن خلال الضحايا، وفي مدى زمني هو الأطول في الحروب العربية الإسرائيلية، يتأكد هذا الوجود في ضمائر العالم ويلطّح بالوحل وجه دولة إسمها إسرائيل.

وفي لبنان، أنت اللبناني تحضن جراحاتك تاركاً الحجر تحت ريح ومطر وشمس.

ولا تقلق. ستعود يوماً.

وينتظرك الحجر مهما طالت الرحلة.

تلتفت إلى الوراء بلا خوف ولن تحصد الندم.

تقف عند أول الشارع حيث المشردون يهددون ولن يدعوك تمر.

قد ينتهي عمرك ولا تمر.

أنت في الخريطة المرسومة خط لا يتحرك. تلتفت إلى الوراء ثم تخاف.

لن تستعيد الماضي، إذ تلمس أناملك أول العشب وآخر الغبار.

لك المستقبل وحده والسؤال مسكناً والحلم الذي لا يتجسّد.

نقطة الحاضر، مستديرة الحاضر، وأنت في الدوامة.

تذهب إلى حيث جئت وتعرق مثل رياضي يتمرّن. الحياة ملعب وأنت اللعبة لا أكثر.

وفي لبنان تحيا المدن وفق تواريخها الصغيرة.

في بيروت يصلحون البناية: يجددون البلاط حيث كان الجنرال الإنكليزي يذرع الممرات بكعبه الحديد، دافعا الفرنسيين بعيدا، لنقيم استقلال الوطن من فراغنا ومن فرصة قدّمتها الحرب العالمية الثانية.

ويرمّم النجار الباب المخلّع لشقة الطبيب اليهودي، محافظاً على مقرعة الحديد التي طالما قرعتها أمهات يحملن أطفالهن المحرورين. يفتح الطبيب الأصلع الباب ويدعوهن بلكنته الحلبيّة إلى ممر الإنتظار. ويتعاون عمال مهرة في إعادة تكوين شقة العانسات الروسيات، تاركين لهنّ غرفة واحدة ينتظرن فيها اكتمال التجديد. ومثل عاشقات دراكولا لا يأتي زوارهن أو يأتون منتصف الليل. لم يدخل العمال غرفة انتظار العانسات ويجددوها، ولم يروا البيضاوات اللواتي هربن من الجيش الأحمر يحملن صناديق الأهل النبلاء.

في بيروت يصلحون البناية، وحين نضجر من أصوات العمال ورائحة الدهان نتجه إلى البحر القريب نسبح أو نصطاد من برك صغيرة بين الصخور ونقرأ مجلات قديمة مبلّلة عن تحرير فلسطين، لا ندري من رماها على ذلك الشاطيء الصخري.

وفي لبنان تختنق الأرض تحت الأعشاب المستوردة، أرضنا التي كانت حرّة، وعشبها وزهرها في الربيع، وشجرة التين عارية تحت سماء الرماد.

كم نفتقد الأرض حين يفكر الإنسان في علبة، ويتلقى التجربة عبر شاشة تشعلها الكهرباء. التجربة بلا جسد. الركض مع أبطال الأفلام في براري بلاد بعيدة.

خطو أقدامنا على الرصيف المتكسّر. كأننا ننزلق لا نمشي. العصافير صور في الكتب العلمية، والغناء في القلب. نحن أبناء أيام الإنسان الأبكم.

ونحن التجريد. كم يفاجئنا الموت. وحدها لحظته الحاسمة تذكرنا بوجود الجسد.

للأبكم أن يصرخ، يحتاج إلى استرداد جسده من أصحاب الصرخة الواحدة والمعممة.

لم أتصل بأصدقائي السوريين، الأدباء والفنانين. منعني الحياء من اقتحام تأملهم في حال وطنهم، لا أحرجهم أو أحرج نفسي، خصوصا إن عواطف اللبناني مهمها بلغ صفاؤها، لا تستطيع تجاوز إلتباسات الوجود العسكري والأمني للسلطة السورية في لبنان طيلة أربعين سنة، إذ تناوبت الجماعات السياسية اللبنانية كلها في موقعي الحليف والخصم.

لكن بيروت في كل أحوالها كانت ولا تزال عاصمة ثقافية ومالية للداخل السوري، داخل كان بالنسبة إلينا هيولى تاريخ وبشر. يدنا على القلب من خشية ورجاء.

ونشير إلى السوري فخري البارودي ونشيده الذي كان منتشرا: «بلاد العرب أوطاني، من الشام لبغدان، ومن نجد إلى يمن إلى مصر فتطوان»، فمع الأحداث السورية ينطوي النشيد وورقة القومية العربية التي خطّها لبنانيون وسوريون في مواجهة قومية طورانية استولت على قرار السلطنة العثمانية.

وكانت العروبة غواية القوم وجوابهم السهل على هزيمة فلسطين، وشعارهم الذي يحجب الكسل عن إنجاز التنمية الصعبة. وعلى رغم «هجرة» البعض من الوحدة العربية إلى الوحدة الإسلامية الأوسع فإن هتافات المتظاهرين السوريين تشير إلى رغبة باستنهاض وطنية سورية تلتقي بالوطنيتين التونسية والمصرية في ساحات الإعتراض . ■

في شهر الحبّ نكتب عن الحبّ ولوعة الفراق

«رائحةُ الصوّت»

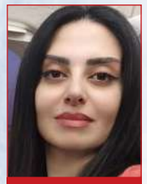

فاطمة خضر*

يأتي صوت أمِّ كلثوم من مدى يلتحفه سوادٌ لم يكسره لسنوات سوى أضواء لدات خافتة، قبل أن تنجح صفقة إدخال ألواح الطّاقة الشّمسيّة، لتكوّن دليلًا ماديًا جديدًا على فروقٍ طبقيّةٍ خلّفتها حربٌ تفنّنت في تعليمنا أنّه ثمّة أشياءٌ أصعب من الموت.

يأتي صوت أمِّ كلثوم، من أحد بيوت الجيران، ليحرّك في داخلي دفعةً واحدةً كلّ ما اجتمع من حنينٍ في هذا الكون الغارق في التّعاسة، لرجلٍ منذ أول مرّة قلت له: «ألو»، أجابني: لصوتك بحّةٌ، من أصله أم كريب؟ صوتُك حُلوٌ؛ ثمّ يُنهي مكالمةً دامت ما يُقارب الرّبع ساعة قائلًا: قبل الـ «باي»، وبدون مبالغة صوتُك حلوٌ، له بَحّةٌ حُلوةٌ.

صوتي الذي في أحد فُراقاتنا الألف، قال عنّه: سيبقى صوتك مُعلّقًا في أذني، سيصل لمسمعي كلّ يومٍ، وسيكون آخر ما أستذكره سَمعيًا قبل الموت.

صوتي الذي يشتاق الآن فقط لقول: ألو، وأعني بها «أحبّك».

ماذا تعرف عن الفقد؟

يقولون في الانكليزية I miss you يُترجمها البعض: «أشتاقُ إليك»، والحقُّ أن تُترجم: «أفتقدك»، فالفقد أعلى درجةً من الشّوق، هو ما بعد الشّوق، هو شعورك بأنّك ضيّعت جزءًا منك، وكأنّه جزءٌ مبتورٌ، كلّما تعريّت أمام نفسك منحك شعورًا بأنّ خَلًا ذو كثافة مُركّزةٍ صُبَّ فوق جُرحٍ مملوءٍ بقبحٍ، تركته عملية بترٍ كندبةٍ لن تشفى.

الرّائحة... يا دليل اللوعة:

أيُّ خطيئة اقرفتُها، لأُحاصرَ بطيفه على هذا النّحو؟ يُنبّهُني صوت أمِّ كلثوم بقسوةٍ لطيفة: «ودَه خيالَ بين الأجفان.. فضل معايا الليل كلّه». تُلوّح لي النجوم بمزيدٍ من الحنين، وتجرّ قلبي من أذنه إلى تلك الليلة؛ اتّصل ليطمئن على صحّتي المُتراجعة تمامًا، قلتُ له بمجرد سماع صوته: تبدو السّماء هذه الليلة ساحرةً من شدّة صفائها. في مرحلة الطّفولة، كان جدّي صيفًا يختار النّوم على سطح بيته الرّيفي، يضع إسفنْجةً في مساحة مكشوفة من سطح الدّار لا تُغطيها عرائشُ العنب؛ وعندما كنّا نذهب لزيارته، كُنّا أنا وأخي نتسابق لنستلقي عليها، كانت تبدو باردةً مُشبعةً بندى ناجم عن رطوبة البحر، وكانَ للجو رائحةٌ يختلط فيها النّدى مع رائحة العريش ورائحة الصّنوبر الذي كان يسوّر الجهة الغربيّة من منزله، هذه الرّائحة لم أحظَ بها منذ رحيل جدّي منذ خمسة عشر عامًا، لكنّي الآن ودون سببٍ واضحٍ أستطيع شمّ تلك الرّائحةَ بوضوحٍ، مع أنّي ما عدتُ أذهب لبيت جدّي بعد غيابه. لا أعلم السّبب الذي جعلني أستذكر تلك الليالي البعيدة، ربّما بسبب نجومٍ تلمع وسط سماءٍ شديدة الصّفاء، وربّما أكثر بسبب الرّائحة!

قال مُندهشًا: اسمعي. كنت الآن أكتب شيئًا عن الرّائحة، كيف تخترقنا وتخترق المسافة والعتم الذي يخلو من كلّ شيءٍ ما عدا رائحة العرَق البلدي، الذي يطوف في ليل القرية، ويصل إلى شرفاتنا، التي تضجُّ بملل لا يكسره سوى صوت أمِّ كلثوم، القادم من سطح دار جيراننا الذي يَلوح أعلاه ضوءُ لدّ، وشابان مراهقان يحاولان إيصالَ أشواقهما لمحبوبة، لا بدّ أنّها ووفق تخيّلي منهمكةٌ في ترتيب تفاصيلها الأنثوية من تنعيم الجسد ونتف الحواجب وتسريح الشّعر وطلاء الأظافر، مستندةً في النّظر على ضوء قلبها العاشق استعدادًا للقاء قريب، لا بدّ أنّها تبتسم وتغنّي مع أم كلثوم «آه كم أخشى غَدي هذا» وأرجوه اقترابا»، وربّما ترسل تسجيلًا صوتيًا لحبيبها وهي تُغنّي مع السّت، كإشارةٍ واضحةٍ أنّ الأغنية قد وصلت غُرفتَها محمّلةً برائحة الهوى.

يحدث أن يصيرَ للصّوت رائحةٌ:
يستمرُّ صوت أمِّ كلثوم في جَرّ قلبي من أُذنه:
«وآبات أفكّر في ل جرالك.. ول جرى لي
وأقول ما شافش الحيرة عليّا لَمّا بَسلّم
ولا شافش يوم الشّوق في عنيّا راح يتكلم».
إذن يحدث أيضًا أن يكون للصّوت رائحةٌ!
يشدُّ صوتُ أمِّ كلثوم قلبي من أُذنه
تنزفُ أذني
تنزفُ من شدّة الفَقْد إلى حدٍّ تسقط معه بين يدَيّ!
يسقطُ معها خلافُنا، ذكرياتُنا، صوتُكَ
ونجمةٌ لها هيئةُ ندبة أعلى خدّك
يُصبحُ كلّي دمًا نازفًا
وتُصبحُ عيناي دوامةَ نجومٍ
رسمَها فان غوخ
أتخبّطُ داخل دهاليزِ صوتٍ
له رائحتك
أصرخ بصمت قاتلٍ:
أفتقدُك... أفتقدُكَ
وأنت هُنا في قلبي
في الرّكن الذي لم يدخله أحدٌ قَبلك
ولن يدخله أحدٌ بعدك
في مقامك العالي المقدّس

الضّاجِّ بعبق سجائرنا
وأحاديثٍ لم تنقطع
لو كنتَ أكثر جرأةً والتصاقًا
بامرأة أحبّتك بحرًا
لم يبقَ لها منه سوى ملحٍ
على جرح
أفتقدُ ما حدث بيننا
وأفتقدُ أكثر ما لم يحدث
أفتقدُ
ذاتي بعدك
تفاصيلَكَ بعدي
تأثيري فيكَ الذي تلاشى
وتأثيرَكَ فيَّ الحيّ القيّوم
ضياعي الفتّان بين ذراعيك
وسرّنا المكشوف في عيوننا عند التّلاقي
لكن... كما تقول السّت:
«وعِزّة نفسي مَنْعاني». ■

*كاتبة ومترجمة من سوريا

كارتر يتوسط السادات وبيجين أثناء توقيع اتفاقيات كامب ديفيد في واشنطن عام 1978

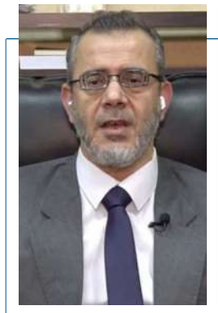

الوزير نذير القادري

وفاة الرئيس الامريكي الاسبق جيمي كارتر

■ رحل الرئيس الامريكي الاسبق جيمي كارتر عن عمر يناهز مائة عام . وأورد مركز كارتر وصحيفة واشنطن بوست وصحيفة أتلانتا جورنال كونستيتيوشن (نقلا عن نجل كارتر) أن الرئيس الأميركي الأسبق الذي قاد البلاد بين عامي 1977و1981، توفي بعد ظهر الأحد 30 ديسمبر 2024 في منزله في بلاينز بولاية جورجيا، بعد أن تلقى لما يقرب من عامين رعاية خاصة للمسنين. شهدت فترة رئاسته ركودا اقتصاديا وتراجعت شعبيته بشكل مستمر فضلاً عن الإحراج الذي أحدثته أزمة الرهائن في ايران التي استنفدت آخر 444 يوماً له في منصبه. توسط في عملية السلام بين مصر واسرائيل التي تمخضت عن صلح منفرد بين الدولتين، مما عكس موقفا سلبيا وصعبا على القضية الفلسطينيه بشكل خاص كما أدى الى فرط العقد العربي ردحا طويلا من الزمن بوجه عام .

تغييرات في المناهج التعليمية في سوريا

■ أعلن وزير التربية والتعليم فى الحكومة الانتقالية السورية مباشر في دعم الشبكة القومية للكهرباء. رمز للنجاح: الحمصاني أشاد بالمشروع باعتباره نموذجًا للإنجاز الوطني الذي يعكس كفاءة الدولة في تحقيق الاكتفاء الذاتي من الطاقة المتجددة. تعمل الحكومة على ضمان دخول 4,000 ميجا وات إضافية للشبكة القومية قبل الصيف المقبل. الهدف الأساسي من هذه الخطة هو استيعاب الطلب المرتفع على الكهرباء خلال الصيف، وتجنب اللجوء إلى تخفيف الأحمال.

مصر تدشن محطة «أبيدوس» 1 للطاقة الشمسية

■ أكد المستشار محمد الحمصاني، المتحدث باسم مجلس الوزراء المصري، أن افتتاح محطة «أبيدوس» 1 للطاقة الشمسية في كوم أمبو يمثل إنجازًا كبيرًا في إطار خطة الدولة لزيادة الاعتماد على الطاقة الجديدة والمتجددة، ورفع مساهمتها في توليد الكهرباء إلى 42%. قدرة المحطة الإنتاجية: تنتج المحطة 500 ميجا وات، وتساهم بشكل الجديدة نذير القادرى ، عدة تغييرات بالمناهج التعليمية، شملت عدة مواد من الصف الأول وحتى الثالث الثانوي، اعتبرها مراقبون كاشفة لفكر الإدارة السورية الجديدة، فى قيادة البلاد،وكان من بين تلك القرارات الغاء مادة (التربيه الوطنيه) الحالية من المناهج الدراسية والامتحانات لهذا العام، واستبدالها بمادة (التربية الدينية) الإسلامية أو المسيحية، تدخل فى مجموع الشهادة الثانوية العامة بفروعها، وإضافة لحذف الدروس والعبارات والصور التى تمجد النظام البائد وبعض الملاحظات الأخرى، واعتماد علم الثورة بدلا من العلم القديم، تم اعتماد عبارة الحكم العثمانى بدلا من عبارة الاحتلال العثمانى أينما وجدت، كما تم حذف (نظرية .

التطور) من كتاب العلوم، وكذلك حذف كلمة (قانون) واستبدالها بـ (الشرع)، فضلا عن حذف فقرات من النشيد الوطنى السوري، كما قضى التعميم بحذف عدة إشارات للآلهة وأسمائها في الميثيولوجيا . القديمة من كتب التاريخ، واستبدال مفهوم (الشهادة) فى (سبيل الوطن) إلى (في سبيل الله)من كتب (التربية الإسلامية) فى كل الصفوف، وعبارة (يحكمه قانون العدل) بـ (يحكمه الشرع) .

اتحاد تلفزيونات التعاون الاسلامي تعمل على انتاج مسلسل لتعليم اللغة العربية

د. عمرو الليثي

■ اكد اتحاد اذاعات وتليفزيونات دول منظمة التعاون الاسلامي، انه تم توقيع عقد انتاج مسلسل تلفزيوني جديد يهدف الى تعليم اللغة العربيه لغير الناطقين بها من انتاج الاتحاد في خطوة تعزز دور الاعلام في نشر اللغة العربيه عالميا، حيث تم الاتفاق مع المخرج الكبير (وائل فهمى) على اخراج هذا العمل . قال الدكتورعمرو الليثي رئيس الاتحاد ان المسلسل سوف يستخدم احدث الأساليب التكنولوجيه والواقع المعزز، مستهدفا شريحه عريضه من المشاهدين في مختلف دول الاتحاد حيث سيتم اهداؤه الى هيئات البث في الاتحاد، ليتم عرضه في دولهم ،مشيرا الى انه سيتم تصوير حلقاته بأسلوب جذاب و معاصر.يهدف المسلسل الى تقديم محتوى تعليمي مبتكر يجمع بين الأساليب الثقافيه الحديثه والجوانب الثقافيه والأجتماعيه التي تعكس جمال اللغة العربيه، وأهميتها كوسيله تواصل عالمي ومن المتوقع ان يتناول المسلسل دروسا مبسطه في القواعد، والمفردات، ومهارات التواصل اليومية. يذكر ان هذه الخطوة تأتي ضمن خطة منظمة التعاون الاسلامي الحالية، والرامية الى تعزيز الحضور العالمي للغة العربيه، ودعم جهود تعليمها للناطقين بلغات اخرى.

الأجراءات الجديدة في سوريا

■ يسعي النظام الجديد في سوريا الى عقد مؤتمر وطني، يجتمع في رحابه حوالي 1200 شخصيه سوريه ،تتم فيه المناقشة حول حل مجلس الشعب وكذلك هيئة تحرير الشام والفصائل العسكريه السوريه ،وتشكيل لجنة لصياغة دستور جديد للبلاد، ومن خلال ذلك المؤتمر، ستنفذ خطوة جوهريه لأعادة هيكلة النظام السياسي في البلاد. ومن المنتظر ايضا تشكيل هيئة استشارية للرئيس المؤقت، تضم مستشارين من كافة الأطياف السورية وذلك بناءً على الكفاءة، مع إمكانية تشكيل حكومة جديدة خلال شهر عقب انعقاد المؤتمر. وسيمثل الشعب السوري خلال المؤتمر فئات من الشباب والنساء ورجال الدين، إلى جانب ممثلين عن المجتمع المدني، في إطار السعي لتحقيق معالجة شاملة للقضايا الوطنية.

ويعتبر انعقاد المؤتمر خطوة في مسار التسوية السياسية للدولة السوريه، لتحقيق الاستقرار.جاء ذلك على لسان الدكتور مؤيد قبلان المنسق المنتظر للمؤتمر الوطني.

يكتبها الشاعر
رامي اليوسف

ع الميدان يا غزاوي

ع الميدان يا غَزّاوِيّ ع الميدان
يا أُبن فلَسطين يا شامخ مَثَل الفَرَسان
فلسطين حرة وأبية والنصر للغزاوية
غَزّاوِيّ آنَت التاريخ وَأَمجادك لا ما بتشيخ
وَأَحنا لَغَيْر اللّه ما نُركّع
وَالحَقّ المَسلُوب راح يُرجَع
فلسطيني بنعلها غزة ما بنستغني عنها
وَأَحنا لَغَيْر اللّه ما نُركّع
وَالحَقّ المَسلُوب راح يُرجَع
ع الميدان يا غَزّاوِيّ ع الميدان
يا أُبن فلَسطين يا شامخ مَثَل الفَرَسان
وَأَحنا لَغَيْر اللّه ما نُركّع
وَالحَقّ المَسلُوب راح يُرجَع
غزة يا عرين الأسود
ونطحن لك عظامنا بارود
فدائي دمي عبوابك
يا غزة روحي عحسابك

فلسطيني مكلل بالغار
ودمانا فدوى لترابك
يا غَزَّة يا مُضَرَّب الأمثال
يا غَزَّة يا مُجد وَصُمُود
يا نَخوَة فَرَسان وَأَبطال
بِدُمانا سَيُجنّا الحُدُود
رجالك مثل شموخ عقالك
سطروا ملحمة الخلود
وَضَحُوا بِالحَيَاة كَرمالكَ
وَثارُوا بِوَجّه العدا بارُود
وَسُيُوف أَلْحَق سَيُوفكِ
وَحُرُوف المَجد حُرُوفكَ
وَأَسُمّكَ عالشمس أَنْكَتِب
وَمَن وَسَط القَلْب نُشوِّفكَ
غَزَّة زَيْنَة البَلَدان وَبَحرَكَ ساحِر وَفَتّان
شواطيكي درر وَرَد وَأَنْتِي لِلنَخوَة عُنْوان
وَيا دَمّ الشَهِيد الغالِيّ يا جَبَينَ بِالعِزّ عالِي

Bliss
PHARMACY AND CLINIC

Prescribing Pharmacist	كتابة وصفات طبية
Private Prescription	وصفات طبية خاصة
Clinical Nutritionist	أخصائي تغذية
IV Nutrition Drip	التغذية الوريدية
Flu and Travel Vaccination	لقاح ضد الانفلونزا ولقاحات للسفر
Laser Hair Removal	ازالة الشعر بالليزر
Beauty Therapy	التجميل والمساج

HEALTH • BEAUTY • LIFE

We stock a large range of Premium vitamins, supplements and natural products as well as many high-end skincare brands
تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمكملات الغذايية والمنتجات الطبيعية، كما لدينا العديد من المنتجات الراقية للعناية بالبشرة

Open 9am to 10pm (Monday to Saturday)
Open 12pm to 9pm to Sundays
107-109 Gloucester Road, London, SW7 4SS
0207 373 4445
www.blisslife.co.uk
gloucesterroad@blisslife.co.uk

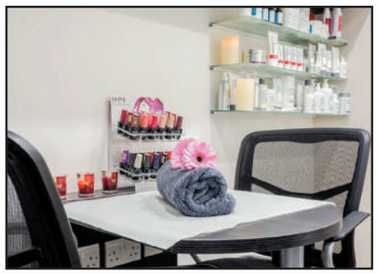

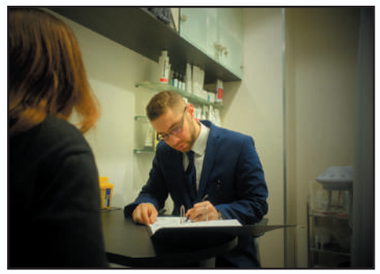

Back cover (Hammamat) 17/7/04 10:16 Page 1

The Scent of Jasmine and Mediterranean Mystique

Welcome to Le Royal Hammamet, just steps from the Marina and seaside adventure. The hotel boasts 266 rooms with private balconies, Satellite TV, Wifi internet, 24-hour room service and all the facilities of a five-star hotel. Moorish architecture, sandy beaches and manicured gardens add to the propertys' charm. Five restaurants and bars offer the best of food and beverage, with both local and international flavours. The property features four swimming pools, two tennis courts, water-sports and a deluxe Spa center. The Cleopatra Convention Centre is the ideal venue for events.

Luxembourg | Luxembourg

Amman | Jordan

Beirut | Lebanon

Sharm El Sheikh | Egypt

El Minzah | Morocco

Villa de France | Morocco

www.leroyal.com